شجرة الإيمان

فضيلة الشيخ الدكتور
أحمد فريد

دار الإيمان
إسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

شجرة الإيمان

بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا تقبل منا
إنك أنت السميع العليم

رقم الإيداع
٢٢٢٣٠ / ٢٠٠٤
الترقيم الدولي
977-331-359-x

شجرة الإيمان

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

نسأل الله تعالى حسن الخاتمة

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله مِن شرورِ أنفسنا ومِن سيئاتِ أعمالِنا، مَن يهدِه اللهُ فلا مُضلَّ له ومن يُضللْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (النساء: ١).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١).

أما بعـــد:

فإن أصدقَ الحديث كـتابُ الله، وأحسـنَ الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمـور محـدثاتُها، وكلَّ محـدثة بدعةٌ، وكلَّ بدعة ضلالةٌ، وكلَّ ضلالة في النار.

ثم أما بعـد أيضاً:

أخـذت الأرض زخرفـهـا وازينت، وظن أهلهـا أنهم قادرون عليـها، واغتـر الناس بظاهر الدنيا وزينتهـا، وصار الناس يتنافسون على الدنـيا، ويتسابقون إليه، ويتـحاسدون عليها، ويوالون فيها، ويعادون فيها، فساروا في طريق أظلم من الليل الحالك يتبعـون سَنَنَ الكفار، ويسلكون مسالكهم، فيلهثون خلف الشهوات الدَّنِيَّة واللذات الدنيوية.

وإنما دفعهم إلى هذه المسالك والمـهالك جهلهم بشرف الإيمان، وحرمانهم من ذوق حلاوته، ولو أنهم عرفوا طعم الإيمان وحلاوته لتعـوضوا به عن الشهوات التي يشـتركون فيها مع البهائم، ومن ذاق عرف ومن عرف اغترف، ومهما

كانت المطالب عالية والهمم سامية فإنها لا تقنع بالدونِ ولا تبيع الأعلى بالأدنى بيع الخاسر المغبون.

لما ادَّعَت أعراب بني أسد الإيمان نفى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ عنهم هذه المنزلة العالية والدرجة السامية، وأثبت لهم اسم الإسلام، قال تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات: ١٤).

فالعبد لا يذوق حلاوة الإيمان بمجرد أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ولكنه يصير بذلك مسلمًا حرام الدم والمال والعرض.

وإنما يذوق حلاوة الإيمان من أينعت شجرة الإيمان في قلبه، فقد ضرب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لكلمة الإيمان مثلاً فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (إبراهيم: ٢٤-٢٥).

فمهما غذى العبد شجرة الإيمان في قلبه، وضربت جذور الشجرة الطيبة في أرض القلب، وسمقت ساقها إلى سماء قلبه، وتفرعت فروعها في أرجائه، وأثمرت الثمرات الطيبة اليانعة، وطابت الثمرة، عند ذلك يذوق العبد حلاوة الإيمان، وقد صرح النبي المصطفى ﷺ ببعض العلامات التي تدل على كمال الشجرة ونضج الثمرة، فقال ﷺ: **«ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف في النار»**(١). وقال ﷺ: **«ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً»**(٢).

وجذور هذه الشجرة الطيبة هي أصول الإيمان الستة، وساقها الإخلاص والمتابعة، وفروعها الأعمال الصالحة من

(١) سيأتي تخريجه ـ إن شاء الله ـ.
(٢) سيأتي تخريجه ـ إن شاء الله ـ.

أعمال القلوب والجوارح، وثمراتها اليانعة هي الأمن والاطمئنان والحياة الطيبة وولاية الله ـ عزَّ وجلَّ ـ والبشرى في الدنيا والآخرة، وقد فصلنا هذه الثمرات في نهاية هذه الرسالة المباركة.

ومنذ أربعة أعوام أو نحوها كنت قد جمعت رسالة بعنوان (التقوى الغاية المنشودة والدرة المفقودة) في بيان معنى التقوى وشرفها والطريق إليها وثمراتها، وقد وجدت قبولاً بحمد الله تعالى عند إخواننا من طلاب العلم وعند الشيوخ الأفاضل، وهذه الرسالة التي أقدم لها الآن شقيقتها، وإن شئت قلت توأمها في موضوعها وأبوابها، فموضوعها شجرة الإيمان، وأبوابها: معنى الإيمان، وشرف الإيمان، وأسباب زيادة الإيمان، وصفات المؤمنين، وختمت بثمرات الإيمان. فأسأل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أن ينفع بها النفع التام العميم من جمعها ومن نشرها ومن قرأها يلتمس الهداية والتوفيق، والله الهادي لأقوم طريق، ونسأل الله أن لا يحرمنا بِرَّها وذخرها، ولله الحمد والمنة على كل نعمة.

معنى الإيمان

الإيمان لغةً: هو التصديق، وشرعًا: هو تصديق الرسول ﷺ فيما جاء به عن ربه ـ عزَّ وجلَّ ـ المتضمن القبول والمحبة والعمل، قال في لسان العرب ما ملخصه: آمن بالشيء: صَدَّق.

وحد الزجاج الإيمان فقال: الإيمان إظهار الخضوع والقبول للشريعة ولما أتى به النبي ﷺ، واعتقاده وتصديقه بالقلب، فمن كان على هذه الصفة فهو مؤمنٌ مسلم غير مرتاب ولا شاكٍّ، وهو الذي يرى أن أداء الفرائض واجب عليه لا يدخله في ذلك رَيْبٌ، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ (يوسف:١٧)، أي بمصدق. والإيمان: التصديق.

واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق[١].

---

(١) «لسان العرب» لابن منظور (١/ ١٣٩، ١٤٠) باختصار ـ ط دار المعارف.

وقال الحافظ: الإيمان لغة: التصديق، وشرعًا: تصديق الرسول فيما جاء به عن ربه، وهذا القدر متفقٌ عليه، ثم وقع الاختلاف هل يشترط مع ذلك مزيد أمر من جهة إبداء هذا التصديق باللسان المعبر عما في القلب، إذ التصديق من أفعال القلوب، أو من جهة العمل بما صدق به من ذلك كفعل المأمورات وترك المنهيات[(١)].

وقال كذلك: «وهو» أي الإيمان، «قول وفعل ويزيد وينقص». والكلام هنا في مقامين، أحدهما: كونه قولاً وعملاً، والثاني: قوله يزيد وينقص.

فأما القول فالمراد به النطق بالشهادتين، وأما العمل فالمراد به ما هو أعم من عمل القلب والجوارح ليدخل الاعتقاد والعبادات، ومراد من أدخل ذلك في تعريف الإيمان ومن نفاه إنما هو بالنظر إلى ما عند الله تعالى، فالسلف قالوا: هو اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان، وأرادوا

(١) «فتح الباري» (١/ ٦٠).

بذلك أن الأعمال شرط في كماله، ومن هنا نشأ لهم القول بالزيادة والنقص، والمرجئة قالوا: هو اعتقاد ونطق فقد، والكرامية قالوا: هو نطق فقط، والمعتزلة قالوا: هو العمل والنطق والاعتقاد، والفارق بينهم وبين السلف أنهم جعلوا الأعمال شرطًا في صحته، والسلف جعلوها شرطًا في كماله، وهذا كله كما قلنا بالنظر إلى ما عند الله تعالى.

أما بالنظر إلى ما عندنا فالإيمان هو الإقرار فقط، فمن أقر أجريت عليه الأحكام في الدنيا ولم يحكم عليه بكفر إلا إن اقترن به فعل يدل على كفره كالسجود للصنم(١). فإن كان الفعل لا يدل على الكفر كالفسق فمن أطلق عليه الإيمان فبالنظر إلى إقراره، ومن نفى عنه الإيمان فبالنظر إلى

---

(١) السجود بمجرده غير كافٍ في التكفير حتى تنفي شبهة الجهل والإكراه والتأويل. قال الشوكاني: «من سجد جاهلاً لغير الله لم يكفر» (نيل الأوطار ـ ٦/ ٢١٠). وقال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «لو سجد رجل لرجل على أن هذا من الدين لا يكفر».
ـ وانظر: «رسالة العذر بالجهل والرد على بدعة التكفير للعبد الفقير».

كماله، ومن أطلق عليه الكفر فبالنظر إلى أنه فعل الكفر، ومن نفاه عنه فبالنظر إلى حقيقته، وأثبتت المعتزلة الواسطة فقالوا: الفاسق لا مؤمن ولا كافر.

وأما المقام الثاني: فذهب السلف إلى أن الإيمان يزيد وينقص، وأنكر ذلك أكثر المتكلمين، وقالوا: متى قبل ذلك كان شكًا[١].

وقال النووي: قال المحققون من أصحابنا المتكلمين: نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص، والإيمان الشرعي يزيد وينقص بزيادة ثمراته وهي الأعمال ونقصانها، قالوا: وفي هذا توفيق بين ظواهر النصوص التي جاءت بالزيادة وأقاويل السلف وبين أصل وضعه في اللغة وما عليه المتكلمون، وهذا الذي قاله هؤلاء وإن كان ظاهرًا حسنًا فالأظهر والله أعلم، أن نفس التصديق يزيد بكثرة النظر وتظاهر الأدلة، ولهذا يكون إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم، بحيث

---

(١) المصدر السابق (١/ ٦١).

لا تعتريهم الشبهة، ولا يتزلزل إيمانهم بعارض، بل لا تزال قلوبهم منشرحة نيرة وإن اختلفت عليهم الأحوال، وأما غيرهم من المؤلفة ومن قاربهم ونحوهم فليسوا كذلك، فهذا مما لا يمكن إنكاره، لا يتشكك عاقل في أن نفس تصديق أبي بكر الصديق ﷺ لا يساويه تصديق آحاد الناس، ولهذا قال البخاري في (صحيحه): قال ابن أبي مليكة: «أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ، كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحدٌ يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل»[١]. والله أعلم.

وأما إطلاق اسم الإيمان على الأعمال فمتفق عليه عند أهل الحق، ودلائله من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تشهر، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ (البقرة:١٤٣)، أجمعوا على أن المراد

---

(١) ذكره البخاري تعليقًا بصيغة الجزم (١/ ١٣٥) الإيمان، باب: خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر.

صلاتكم، وأما الأحاديث فستمر بك في هذا الكتاب جمل مستكثرات والله أعلم.

واتفق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على أن المؤمن الذي يحكم بأنه من أهل القبلة ولا يخلد في النار لا يكون إلا من اعتقد بقلبه دين الإسلام اعتقادًا جازمًا خاليًا من الشكوك ونطق بالشهادتين، فإن اقتصر على إحداهما لم يكن من أهل القبلة أصلاً، إلا إذا عجز عن النطق لخلل في لسانه أو لعدم التمكن منه لمعالجة المنيّة أو لغير ذلك فإنه يكون مؤمنًا[1].

وقال البغوي: قال أبو سليمان الخطابي: المسلم قد يكون مؤمنًا في بعض الأحوال وقد لا يكون مؤمنًا في بعضها، والمؤمن مسلم في جميع الأحوال، لأن أصل الإسلام: الاستسلام والانقياد، وأصل الإيمان: التصديق، وقد يكون المرء مستسلمًا في في الظاهر غير منقادٍ في الباطن، ولا

---

(١) «شرح النووي على صحيح مسلم» هامش (١/ ١٤٨، ١٤٩).

يكون صادق الباطن غير منقاد في الظاهر، فإذن كل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمنًا[١].

◆ وقال البغوي كذلك في تفسير قوله ﷺ: **«أمرت أن أقاتل النَّاسَ حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها وصلُّوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا، فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»**[٢].

في الحديث دليل على أن أمور الناس في معاملة بعضهم بعضًا إنما تجري على الظاهر من أحوالهم دون باطنها، وأن من أظهر شعار الدين أُجري عليه حكمه ولم يكشف عن باطن أمره، ولو وجد مختون بين قتلى غُلْفٍ عُزِلَ عنهم في المدفن، ولو وجد لقيط في بلد المسلمين حكم بإسلامه[٣].

---

(١) «شرح السنة» للبغوي (١/ ١١) للبغوي ط. دار بدر بتحقيق شعيب الأرناؤوط.

(٢) رواه البخاري (١/ ٥٩٢) الصلاة، باب فضل استقبال القبلة، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٦٩) الإيمان، وللحديث طرق وألفاظ أخرى.

(٣) «شرح السنة» (١/ ٧٠) للبغوي.

وقال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: ومما يدل من القرآن على أن الإيمان المطلق مستلزم للأعمال قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (السجدة: ١٥)، فنفى الإيمان عن غير هؤلاء، فمن كان إذا ذكر بالقرآن لا يفعل ما فرضه الله عليه من السجود لم يكن من المؤمنين، وسجود الصلوات الخمس فرض باتفاق المسلمين، وأما سجود التلاوة ففيه نزاع، وقد يحتج بهذه الآية من يوجبه لكن ليس هذا موضع بسط هذه المسألة فهذه الآية مثل قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (الأنفال: ٢)، وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ (النور: ٦٢)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ (التوبة: ٤٣-٤٥).

وهذه الآية مثل قوله: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (المجادلة: ٢٢)، وقوله: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ (المائدة: ٨١)، بين سبحانه أن الإيمان له لوازم وله أضداد موجودة يستلزم ثبوت لوازمه وانتفاء أضداده، ومن أضداده موادة من حادَّ الله ورسوله، ومن أضداده استئذانه في ترك الجهاد، ثم صرح بأن استئذانه إنما يصدر من الذين لا يؤمنون بالله والبوم الآخر، ودل قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾، على أن المتقين هم المؤمنون.

ومن هذا الباب قوله ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»[(١)]، وقوله: «**لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه**»[(٢)]

---

(١) رواه البخاري (١٠/ ٣٠) الأشربة، ومسلم (٢/ ٤١، ٤٢) الإيمان.

(٢) رواه مسلم (٢/ ١٧) الإيمان، بلفظ: «**لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه**». قال النووي: «والبوائق: جمع بائقة، وهي الغائلة والداهية والفتك».

وقوله: «**لا تؤمنوا حتى تحابوا**» (١)، وقوله: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه**» (٢)، وقوله: «**من غشنا فليس منا، ومن حمل علينا السلاح فليس منا**» (٣).

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ ما ملخصه: لما كان الإيمان أصلاً له شعب متعددة، وكل شعبة منها تسمى إيمانًا فالصلاة من الإيمان وكذلك الزكاة والحج والصيام والأعمال الباطنة كالحياء والتوكل والخشية من الله والإنابة إليه حتى تنتهي هذه الشعب إلى إماطة الأذى عن الطريق، فإنه شعبة من شعب الإيمان، وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادة، ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق، وبينهما شعب متفاوتة تفوتًا

(١) رواه مسلم (٢/ ٣٥) الإيمان، وأحمد (٢/ ٤٤٢).
(٢) رواه البخاري (١/ ٧٣) الإيمان، ومسلم (٢/ ١٦, ١٧) الإيمان.
(٣) الإيمان (١٣٧، ١٣٨) لشيخ الإسلام ابن تيمية ط. دار الطباعة المحمدية بالأزهر. والحديث رواه مسلم (٢/ ١٠٨) الإيمان.

عظيمًا، منها: ما يلحق بشعبة الشهادة ويكون إليها أقرب، ومنها: ما يلحق بشعبة إماطة الأذى ويكون إليها أقرب.

وها هنا أصل آخر: وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل. والقول قسمان: قول القلب وهو الاعتقاد، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام.

والعمل قسمان: عمل القلب: وهو نيته وإخلاصه وعمل الجوارح، فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها، وكونها نافعة وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق فهذه موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة. فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان، وأنه لا ينفع التصديق على انتفاء عمل القلب وهو محبته وانقياده، كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول، بل ويقرون به سراً وجهراً، ويقولون: ليس بكاذب ولكن لا نتبعه ولا

نؤمن به، وإذا كان الإيمان يزول بزوال عمل القلب فغير مستنكر أن يزول بزوال أعظم أعمال الجوارح.

إلى أن قال ـ رحمه الله ـ: فإن الإيمان ليس مجرد التصديق كما تقدم بيانه وإنما هو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد، وهكذا الهدى ليس هو مجرد معرفة الحق وتبينه، بل هو معرفته المستلزمه لاتباعه والعمل بموجبه، وإن سُمي الأول هدى فليس هو الهدى التام المستلزم للاهتداء، كما أن اعتقاد التصديق وإن سُمي تصديقًا فليس هو التصديق المستلزم للإيمان[1].

وبعد، فهذه بعض النقول عن العلماء الأعلام في تعريف الإيمان والإسلام نخرج منها بعدة قواعد متفق عليها بين أهل السنة ـ رحمهم الله ـ:

---

(١) الصلاة (٢٤-٢٥) باختصار.

القاعدة الأولى:

أن من أظهر الإيمان وذلك بأن يقر بالشهادتين، ويلحق بذلك من ولد لأبوين مسلمين، أو كانت ولايته للمسلمين منذ صغره، ولم يأت بناقض من نواقض الإيمان فإنه يحكم له بالإسلام، ومن حُكِمَ له بالإسلام وهو استسلام الظاهر قد يكون ممن يبطن الإيمان وقد يكون ـ والعياذ بالله ـ ممن يبطن الكفر، فالأول هو المؤمن، والثاني هو المنافق، ولكن أمور الدنيا تترتب على الظواهر والله أعلم بالسرائر.

وقد اعترض بعض أهل العلم على تسمية الإخلاص والعلم والانقياد والمحبة والصدق واليقين والقبول شروطًا لصحة الشهادتين، وذلك لأن جلها من أعمال القلب، والنطق بالشهاتين يترتب عليه أحكام في الدنيا، ويحكم بإسلام من نطق فيرث من نطق بهما من أبيه المسلم، ويرثه ابنه المسلم، ويتزوج من المسلمين، وإذا مات يغسل ويكفن ويدفن في مقابر المسلمن، فترتب علي النطق بالشهادتين

أحكام مع عدم توفر هذه السبعة، والأقرب أن نقول هذه شروط صحة الشهادتين عند الله، والمقصود أن هذه الشهادة تنفع صاحبها في الآخرة بتوفر هذه الشروط السبعة، مع أنها تترتب عليها أحكام إذا نطق بها ولو لم تتوفر هذه الشروط في أحكام الدنيا.

القاعدة الثانية:

أن الإيمان في اللغة هو التصديق، وفي الشرع هو تصديق الرسول لله فيما جاء به من عند الله ـ عزَّ وجلَّ ـ مع القبول والانقياد لما جاء به، ومجرد اعتقاد صدق الرسول ﷺ لا يكفي في نجاة العبد واعتباره مؤمنًا، فقد كان اليهود يعتقدون صدق رسول الله ﷺ ويرون معجزاته، وقد وجدوا ما وصفه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لهم في التوارة، ولم يكونوا بذلك مؤمنين، وقال تعالى عن موسى عليه السلام أنه قال لفرعون: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ (الإسراء: ١٠٢).

وقال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ (النمل: ١٤)، فأخبر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أن فرعون كان يعتقد صدق موسى عليه السلام وأنه مرسل من ربه، ومع ذلك لم ينقد له، ولم يقبل ما جاء به، وكان بذلك من الكافرين، فمجرد اعتقاد صدق الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكفي في الإيمان حتى يقبل ما جاء به، وحتى يضم إلى اعتقاد صدقه قبول رسالته والعمل بها.

القاعدة الثالثة:

وهي قول علماء السنة بأن الإيمان قول وعمل أي قول باللسان وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، واعتقاد ذلك بالقلب، وعمل بالقلب واللسان والجوارح، فعمل القلب الإخلاص والمحبة والرضا والتوكل والخوف والرجاء وغير ذلك، وعمل اللسان الذكر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح بين الناس وغير ذلك، وعمل الجوارح الصلاة والجهاد والحج والعمرة

والصدقة وبر الوالدين وصلة الرحم والإحسان إلى الجيران وغير ذلك. وأدلة هذه القاعدة من الكتاب والسنة كثيرة جدًا، قال الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ (البقرة: ١٤٣)، أي صلاتكم إلى المسجد الأقصى كما فسره ابن عباس وغيره. وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ﴾ (البقرة: ١٧٧)، وفسر الصديق رضي الله عنه البر في هذه الآية بالإيمان، وأصرح من ذلك في دخول العمل في مسمى الإيمان قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة فأعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»(١).

---

(١) رواه مسلم (٢، ٦) الإيمان واللفظ له، والبخاري (١/ ٥١) الإيمان بلفظ: «بضع وستون».

فدخل في مُسمى الإيمان أعمال القلب والجوارح، وسوف نشير بإذن الله تعالى إلى هذه الشعب، وقد بوب البخاري أكثر أبواب كتاب الإيمان في (صحيحه الجامع) على دخول العمل في مسمى الإيمان فقال: «باب الصلاة من الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان، باب الجهاد من الإيمان، باب الحياء من الإيمان، باب قيام ليلة القدر من الإيمان»، وأورد بسنده الأحاديث التي تدل على دخول هذه الأعمال في مسمى الإيمان.

القاعدة الرابعة:

أن الإيمان يزيد وينقص، قال ابن عبد البر: «وعلى أن الإيمان يزيد وينقص جماعة أهل الآثار والفقهاء وأهل الفتيا في الأمصار، وقد قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ (الفتح: ٤)، وقوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ (المدثر: ٣١)، وقوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٢٢).

وقوله ﷺ: «إن أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وألطفهم بأهله»[١]. وقال معاذ: اجلس بنا نُؤمن ساعة[٢].

وإذا كان الإيمان قول وعمل فإن الناس يتفاوتون في أعمال القلوب والجوارح تفواتًا عظيمًا، بل يتفاوتون في العمل الواحد، ويكون الرجلان في صف واحد وخلف إمام واحد يكبران بتكبيره ويسلمان بتسليمه وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض، فالأعمال تتفاوت بمقدار ما في قلوب أصحابها من تقوى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ.

وكما قال النووي ـ رحمه الله ـ: يتفَاوتون في نفس التصديق، فالإيمان يزداد مع كثرة الأدلة وقوة دلالتها ووضوحها.

(١) رواه الترمذي (٢/ ٨٢) الإيمان وقال: «هذا حديث صحيح ولا نعرف لأبي قِلابة سماعًا من عائشة»، ورواه الحاكم (١/ ٣) الإيمان وقال: صحيح على شرط مسلم، وصححه الذهبي في «تلخيصه».

(٢) رواه البخاري تعليقًا مجزومًا به (١/ ٦٠) الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «بُنيَ الإسلام على خمس».

والعبد يجد هذه القاعدة في نفسه فإذا فتح عليه في الذكر والعبادة والطاعة يحسُّ بزيادة إيمانه وإقباله على الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وبعده عن المعاصي، وإذا تكاسل عن ذكر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وفتر عن العبادة والطاعة أحسَّ بقسوةٍ في قلبه ورقة في دينه، فنسأل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أن لا يكلنا إلى أنفسنا أو إلى أحد من خلقه طرفة عين أبدًا.

القاعدة الخامسة:

أن أهل الإيمان يتفاضلون فيه، فإيمان الرسل ليس كإيمان عامة المؤمنين بل إيمان عامة المؤمنين يتفاوت تفاوتًا بعيدًا، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (فاطر: ٣٢)، وقال ﷺ: «**ومن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»(١).

(١) رواه مسلم (٢/ ٢٢، ٢٥) الإيمان، والترمذي (٩/ ١٨، ١٩) الفتن، وأبو داود (١١٢٨) صلاة العيدين، والنسائي (٨/ ١١١، ١١٢) الإيمان، وابن ماجه (٤٠١٣) الفتن.

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول: «بينما أنا نائم رأيت الناس عرضوا عَلَيَّ وعليهم قمصٌ، فمنا ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعرض عَلَيَّ عمر وعليه قميض يجره» ، قالوا: فبم أوَّلته يا رسول الله؟ قال: «الدين»[1].

القاعدة السادسة:

أن العبد لا يخرج من الريمان إلا بجحود ما أدخله فيه، فقد جعل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ للإيمان بابًا وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فمن دخل من هذا الباب لا يخرج إلا من هذا الباب، فكل قول أو فعل لا يدل على نقص هذا الإقرار لا يكون بمجرده نقضًا للإيمان، فالزنا والسرقة وشرب الخمر وغير ذلك من المعاصي الناشئة عن اتباع الهوى إن لم يستحلها فاعلها لا تكون

(١) رواه البخاري (٧/ ٤٣) فضائل الصحابة، ومسلم (١٥/ ١٥٩) فضائل الصحابة.

ناقضة للإيمان، أما الاستهزاء بالشرع أو سب الدين أو إنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة أو استحلال الكبائر أو جحود ما افترض الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فكل هذه الذنوب تدل على نقض الإقرار السابق، فتكون من المكفرات الناقضة لأصل الإيمان.

القاعدة السابعة:

أن الشارع قد يطلق اسم الكفر ولا يراد به الكفر الأكبر المخرج من الملة والمخلد في النار.

قال القاسمي في (تفسيره): حيثما وقع في حديث من فعل كذا فقد أشرك أو فقد كفر لا يراد به الكفر المخرج من الملة والشرك الأكبر والمخرج عن الإسلام الذي تجري عليه أحكام الردة والعياذ بالله تعالى، وقد قال البخاري: «باب كفران العشير وكفر دون كفر»[1].

(١) محاسن التأويل (١٣٠٧/٥).
ـ وانظر: رسالة «العذر بالجهل والرد على بدعة التكفير» للعبد الفقير (ص٢٥-٢٧).

القاعدة الثامنة:

أن الإيمان بضع وسبعون شعبة، أو بضع وستون شعبة، فأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، ولا يلزم من قيام شعبة من شعب الإيمان بالعبد أن يسمى مؤمنًا، كما لا يلزم من قيام شعبة من شعب الكفر بالعبد أن يسمى كافرًا، كما لا يلزم من كان عالمًا بمسئلة من مسائل الدين أن يسمى عالمًا، ولا يلزم من علم علاج مرض من الأمراض أن يسمى طبيبًا.

القاعدة التاسعة:

الرجل قد يجتمع فيه كفر وإيمان، وشرك وتوحيد، وتقوى وفجور . . قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «وهذا من أعظم أصول أهل السنة، ويترتب على هذه القاعدة أن المؤمن يُحَبُّ من وجه ويبغض من وجه، يحب لما فيه من طاعة وإيمان واتباع للسنة، ويبغض لضد ذلك، ومن أدلة هذه القاعدة قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ

وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ (يوسف:١٠٦)، وقوله تعالى: ﴿ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ ﴾ (آل عمران:١٦٧).

القاعدة العاشرة:

أن الإسلام يفسر باستسلام الظاهر وإقامة شعائر الإسلام، والإيمان يفسر باستسلام الباطن، وبذلك أجاب رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام عندما سأله عن الإسلام والإيمان. فالإسلام والإيمان يدخل أحدهما في معنى الآخر إذا أفرد، قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ (المائدة:٣)، فالإسلام هنا يدخل فيه عمل القلب والجوارح، وقال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ (الأنفال:٢-٤).

فالإيمان والإسلام إذا اجتمعا افترقا (أي في المعنى والمراد) وإذا افترقا اجتمعا (أي في المعنى حيث يشير كلاهما إلى الدين كله).

◆ (فصل) في تفسير قول النبي ﷺ:

«الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان»[(١)] .

قال الحافظ ما ملخصه: قوله «بضع»: بكسر أوله، وحكى الفتح لغة، وهو عدد مبهم ما بين الثلاثة إلى التسع كما جزم به القزاز، وقال ابن سيده: إلى العشر، ويرح ما قاله القزاز ما اتفق عليه المفسرون في قوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ (يوسف:٤٢)، وما رواه الترمذي بسند صحيح أن قريشًا قالوا ذلك لأبي بكر، وكذا رواه الطبراني مرفوعًا.

قوله «وستون»: لم تختلف الطرق عن أبي عامر شيخ شيخ المؤلف في ذلك، ووقع التردد في رواية مسلم من طريق سهيل بن أبي صالح عن عبد الله ابن دينار، ورواه أصحاب السنن الثلاثة من طريقه فقالوا: بضع وسبعون من غير شك، ورجح البيهقي رواية البخاري؛ لأن سليمان لم

---

(١) رواه البخاري (١/ ٦٧) الإيمان بلفظ: «بضع وستون»، ووقع التردد في رواية مسلم: «بضع وستون أو بضع وسبعون» (٢/ ٦) الإيمان، وفي رواية: «بعض وسبعون بغير شك»، وكذا في «السنن الثلاثة».

يشك، وأما رواية الترمذي بلفظ أربع وستون فمعلولة، وترجيح رواية بضع وسبعون لكونها زيادة ثقة ـ كما ذكره الحليمي ثم عياض ـ لا يستقيم إذ الذي زادها لم يستمر على الجزم لاسيما مع اتحاد المخرج، وبهذا يتبين شفوف نظر البخاري، وقد رجح ابن الصلاح الأقل لكونه المتيقن.

وقوله «**شعبة**»: أي قطعة، والمراد الخصلة أو الجزء.

قوله «**والحياء**»: هو بالمد، وهو في اللغة: تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به.

ـ وفي الشرع: خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق، ولهذا جاء في الحديث الآخر: «**الحياء خيرٌ كله**»[1]. فإن قيل: الحياء من الغرائز فكيف جعل شعبة من الإيمان؟ أجيب بأنه قد يكون غريزة، وقد يكون تخلقًا، ولكن استعماله على وفق الشرع يحتاج إلى اكتساب وعلم ونية، فهو من الإيمان لهذا، ولكونه باعثًا على فعل الطاعة وحاجزًا عن فعل المعصية.

---

(١) رواه مسلم (٢/ ٧) الإيمان.

فائدة: قال القاضي عياض: تكلف جماعة حصر هذه الشعب بطريق الاجتهاد، وفي الحكم بكون ذلك هو المراد صعوبة، ولا يقدح عدم معرفة حصر ذلك على التفصيل في الإيمان. اهـ.

قال الحافظ: ولم يتفق من عَدَّ الشعب على نمطٍ واحدٍ، وأقربها إلى الصواب طريقة ابن حبان، لكن لم نقف على بيانها من كلامه، وقد لخصت مما أوردوه ما أذكره، وهو أن الشعب تتفرع من أعمال القلب وأعمال اللسان وأعمال البدن، **فأعمال القلب** فيه المعتقدات والنيات، وتشتمل على أربع وعشرين خَصْلَةً: الإيمان بالله، ويدخل فيه الإيمان بذاته وصفاته وتوحيده بأنه ليس كمثله شيء، واعتقاد حدوث ما دونه، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره، والإيمان باليوم الآخر، ويدخل فيه المسألة في القبر، والبعث والنشور والحساب والميزان والصراط والجنة والنار، ومحبة الله، والحب والبغض فيه، ومحبة النبي ﷺ واعتقاد تعظيمه، ويدخل فيه الصلاة عليه واتباع سنته،

والإخلاص، ويدخل فيه ترك الرياء والنفاق، والتوبة والخوف والرجاء، والشكر والوفاء، والصبر والرضا بالقضاء، والتوكل والرحمة والتواضع، ويدخل فيه .. توقير الكبير ورحمة الصغير، وترك الكبر والعجب، وترك الحسد وترك الحقد، وترك الغضب.

وأعمال اللسان: وتشتمل على سبع خصال: التلفظ بالتوحيد، وتلاوة القرآن، وتعلم العلم وتعليمه، والدعاء والذكر، ويدخل فيه الاستغفار واجتناب اللغو.

وأعمال البدن: وتشتمل على ثمان وثلاثين خصلة، منها ما يختص بالأعيان وهي خمس عشرة خصلة: التطهير حسًا وحكمًا، ويدخل فيه اجتناب النجاسات، وستر العورة، والصلاة فرضًا ونفلاً، والحج والعمرة كذلك والطواف، والاعتكاف والتماس ليلة القدر، والفرار بالدين، ويدخل فيه الهجرة من دار الشرك، والوفاء بالنذر والتحري في الإيمان، وأداء الكفارات، ومنها ما يتعلق بالاتباع وهي ست خصال: التعفف بالنكاح والقيام بحقوق العيال وبر الوالدين، وفيه

اجتناب العقوق، وتربية الأولاد، وصلة الرحم، وطاعة السادة أو الرفق بالعبيد. ومنها ما يتعلق بالعامة وهي سبع عشرة خصلة: القيام بالإمرة مع العدل، ومتابعة الجماعة، وطاعة أولي الأمر، والإصلاح بين الناس، ويدخل فيه قتال الخوارج والبغاة، والمعاونة على البر، ويدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود والجهاد، ومنه المرابطة، وأداء الأمانة، ومنه أداء الخمس، والقرض مع وفائه، وإكرام الجار، وحسن المعاملة، وفيه جمع المال من حله، وإنفاق المال في حقه، ومنه ترك التبذير والإسراف، ورد السلام وتشميت العاطس، وكف الأذى عن الناس، واجتناب اللهو، وإماطة الأذى عن الطريق، فهذه تسع وستون خصلة ويمكن عدها تسعًا وسبعين خصلة باعتبار أفراد ما ضم بعضه إلى بعض مما ذكر. والله أعلم[1].

---

(١) باختصار وتصرف من «فتح الباري» (١/ ٦٧-٦٩).

شرف الإيمان وفضائله

١ - الإيمان بالله - عزَّ وجلَّ - هو أفضل الأعمال:

قال النبي ﷺ: «أفضل الأعمال عند الله إيمان لا شك فيه، وغزوٌ لا غلول فيه، وحج مبرور»[(١)].

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ سئل: أي العمل أفضل؟ فقال: «إيمان بالله ورسوله»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «حجٌّ مبرور»[(٢)].

واستدل به البخاري - رحمه الله - على أن العمل يدخل في مسمى الإيمان، وذلك لأن النبي ﷺ سئل أي العمل أفضل فقال: «الإيمان بالله ورسوله»، ثم ثنى بذكر الجهاد في

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٢٥٨، ٤٤٢، ٥٢١)، وابن حبان (١٠/ ٤٥٨) الإحسان، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) رواه البخاري (١/ ٩٧) الإيمان، ومسلم (٢/ ٧٢) الإيمان، والترمذي (٧/ ١٥٩) فضائل الجهاد، والنسائي (٥/ ١١٣) الحج.

سبيل الله وثلث بالحج المبرور فقرن الإيمان بالجهاد والحج فبوب له البخاري ـ رحمه الله ـ: «باب من قال: إن الإيمان هو العمل».

فالإيمان بالله ـ عزَّ وجلَّ ـ هو أفضل أعمال القلب كما أن الصلاة وهي من الإيمان أفضل أعمال الجوارح.

٢ ـ تمنن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ به على عباده وله وحده الحمد والمنة على كل نعمة:

قال الله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الحجرات: ١٧).

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ﴾، يعني الأعراب الذين يمنون بإسلامهم ومتابعتهم ونصرتهم على الرسول ﷺ، يقول الله تعالى ردًا عليهم: ﴿قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ﴾، فإن نفع ذلك إنما يعود عليكم، ولله المنة عليكم فيه: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ

هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ، أي في دعواكم ذلك، كما قال النبي ﷺ للأنصار يوم حنين: «يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وكنتم عالة فأغناكم الله بي؟» . كلما قال شيئًا قالوا: الله ورسوله أمن(١) .

كما تمنن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ على المؤمنين الصادقين أن حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق العصيان، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ (الحجرات: ٧).

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي: فيكون الإيمان في القلب أعظم المحبوبات وأجمل الأشياء، وبهذا يذوق

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٢١٩) ط. دار المعرفة ـ بيروت، والحديث رواه البخاري (٧/ ٦٦٤) المغازي، ومسلم (٧/ ١٥٧) الزكاة.

العبد حلاوة الإيمان ويجدها في قلبه، فيتجمل الباطن بأصول الإيمان وحقائقه وتتجمل الجوارح بأعمال الإيمان(١).

٣ ـ أمر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ به، وأثنى على أهله ومدح من توسل إليه به:

قال الله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٦).

وأمر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ المؤمنين بمزيد من الإيمان، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ (النساء: ١٣٦).

---

(١) المجموع الكاملة لمؤلفات عبد الرحمن بن ناصر.
ـ رسالة «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» (٣/ ١١٤) العقيدة.

كما أثنى الله تعالى أعلى أصحاب محمد ﷺ إيمانهم بالله ـ عزَّ وجلَّ ـ وملائكته وكتبه ورسله، فقال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة: ٢٨٥).

ومدح الله ـ عزَّ وجلَّ ـ المؤمنين الذين توسلوا إليه بالإيمان، وذلك تعظيمًا لقدر الإيمان وتنويهًا بشرفه، فقال تعالى في وصف أولي الألباب: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (١٩٢) رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (آل عمران: ١٩١-١٩٤).

فأثنى الله ـ عزَّ وجلَّ عليهم بذلك وأخبر أنه ـ عزَّ وجلَّ ـ قد استجاب لهم، وفي هذه الآيات الكريمات مشروعية التوسل بالإيمان والعمل الصالح، ودل على ذلك كذلك حديث الثلاثة الذين كانوا في الغار وسقطت صخرة عظيمة فسدت عليهم فوهة الغار، فتوسلوا بالأعمال الصالحة ففرج الله ـ عزَّ وجلَّ ـ عنهم[1].

٤ ـ جعل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ الإيمان شرطًا لقبول الأعمال الصالحة وانتفاع العبد بها في الدنيا والآخرة:

فقال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ ﴾ (الأنبياء: ٩٤)، فاشترط الله ـ عزَّ وجلَّ ـ الإيمان.

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ (الإسراء: ١٩).

(١) الحديث رواه البخاري (٤/ ٤٤٩، ٤٥٠) الإجارة، ومسلم (١٧/ ٥٥-٥٧) الذكر والدعاء.

٥ ـ إذا فقد العبد الإيمان ـ والعياذ بالله ـ حبط جميع عمله وكان من الخاسرين:

ولو كان نبيًا رسولاً، ولو كان خاتم الأنبياء ﷺ، قال الله: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (الزمر: ٦٥-٦٦).

وهذا من تقدير المحال، وهو جائز في لغة العرب، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ (الزخرف: ٨١)، أو هو خطاب للنبي ﷺ والمقصود به الأمة.

وقال تعالى بعد أن ذكر الأنبياء الكرام ـ عليهم الصلاة والسلام ـ: ﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام: ٨٨).

٦ ـ ضرب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لكلمة الإيمان مثلاً بالشجرة الطيبة التي تضرب جذورها في الأرض الطيبة، وتثمر الثمرات اليانعة كل حين بإذن ربها:

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (إبراهيم: ٢٤-٢٥).

قال العلامة السعدي: فمثل الله كلمة الإيمان ـ التي هي أطيب الكلمات ـ بشجرة هي أطيب الأشجار موصوفة بهذه الأوصاف الحميدة: أصولها ثابتة مستقرة. ونماؤها مستمر، وثمراتها لا تزال كل وقت وكل حين تغل على أهلها وعلى غيرهم المنافع المتنوعة والثمرات النافعة[١].

---

(١) رسالة «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» من المجموعة المتكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ـ رحمه الله ـ (٣/ العقيدة الإسلامية/ ٨٨).

وقال القاسمي: لحظ في الممثل به - أعني الشجرة - أوصاف جليلة لتلحظ في جانب الممثل له. فمنها: كونها طيبة أعم من طيب المنظر والصورة والشكل، ومن طيب الريح وطيب الثمرة وطيب المنفعة، وكون أصلها ثابتًا أي راسخًا باقيًا في أمن من الانقلاع والانقطاع والزوال والفناء ليعظم الفرح به والسرور، وكون فرعها في السماء، فدل على كمال حال تلك الشجرة من جهة ارتفاع أغصانها وقوتها في التصاعد مما يبرهن على ثبات الأصل ورسوخ العروق وجهة بعدها عن العفونات والأقذار، فتكون ثمرتها نقية طاهرة طيبة عن جميع الشوائب، وكون ثمرتها تجني كل حين فلا تنقطع بركاتها وخيراتها، ولا ريب أن وجود هذه الأوصاف مما يدل على فخامة الموصوف وإنافة فضله، ولا تخفى مطابقة هذا الممثل به للمثل له[1].

(١) «محاسن التأويل» (١٠/ ٢٧).

ولاشك أن هذا مثل لكمال الإيمان في قلب المؤمن وكلما كانت الأرض طيبة وتعهد العبد الشجرة بالخدمة والري، كلما ضربت جذورها في أعماق الأرض، وسمقت بفروعها في السماء، وأثمرت الثمرات الطيبة كل حين بإذن ربها، وكذلك الإيمان كلما ازداد إيمان العبد ويقينه بالله ـ عزَّ وجلَّ ـ وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، كلما وفق للأعمال الصالحة الزكية والأحوال الإيمانية المَرْضية، ولاشك أن الذي يذوق حلاوة الإيمان من أينعت شجرته وازداد حبه لله ـ عزَّ وجلَّ ـ ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، فليس كل أحد يجد طعم الإيمان ويذوق حلاوته.

قال ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»[(١)].

---

(١) رواه البخاري (١/ ٦٠) الإيمان، ومسلم (٢/ ١٣) الإيمان، والترمذي (١٠/ ٩١) الإيمان.

وقال ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً»(١).

٧ ـ ومن شرف الإيمان أنه إذا كمل دخل العبد الجنة من أول وهلة:

وكذا إذا رجحت حسناته بسيئاته والإيمان ولو كان قليلاً يمنع من الخلود في النار، فإن يخرج من النار من كان في

(١) رواه مسلم (٢/ ٢) الإيمان.
ـ قال النووي: قال صاحب التحرير ـ رحمه الله ـ: معنى رضيت بالشيء قنعت به واكتفيت به ولم أطلب معه غيره، فمعنى الحديث لم يطلب غير الله تعالى ولم يسع في غير طريق الإسلام ولم يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد ﷺ، ولاشك في أن من كانت هذه صفته فقد خلصت حلاوة الإيمان إلى قلبه وذاق طعمه.
ـ وقال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ: معنى الحديث: صح إيمانه واطمأنت به نفسه وخامر باطنه لأن رضاه بالمذكورات دليل لثبوت معرفته ونفاذ بصيرته ومخالطة بشاشته قلبه، لأن من رضي أمرًا سهل عليه، فكذا المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان سهل عليه طاعات الله تعالى ولذت له والله أعلم. «شرح النووي على صحيح مسلم» هامش (٢/ ٢).

قلبه مثقال ذرة من إيمان، وقال النبي ﷺ: **«إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يَبتَغِي بِذَلِك وجْهَ الله»**(١).

قال شيخ الإسلام: وأكثر من يقولها تقليدًا وعادة، ولم تخالط حلاوة الإيمان بشاشة قلبه، وغالب من يفتن عند الموت وفي القبور أصحاب المعاصي، وغالب أعمال هؤلاء إنما هو تقليد واقتداء، وهم من أقرب الناس من قوله تعالى: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ (الزخرف:٢٣)، وحينئذ فلا منافاة بين الأحاديث فإنه إن قالها بإخلاص ويقين تام لم يكن في هذه الحال مصرًا على ذنب أصلاً، فإن كمل إخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله أحبَّ إليه من كل شيء، فإذًا لا يبقى في قلبه إرادة لما حرم الله، ولا كراهة لما أمر الله، وهذا هو الذي يحرم على النار، وإن كانت له ذنوب قبل ذلك فإن هذا الإيمان وهذا

---

(١) رواه مسلم (١/ ٢٤٤) الإيمان.

الإخلاص وهذه التوبة وهذه المحبة وهذا اليقين لا تترك له ذنبًا إلا مُحي كما يمحو الليل النهار، فإن قالها على وجه الكمال المانع من الشرك الأكبر والأصغر فهذا غير مصرٍّ على ذنب أصلاً، ولم يأت بعدها بما يناقض ذلك فهذه الحسنة لا يقاومها شيء من السيئات فيرجح لها ميزان الحسنات كما في حديث البطاقة فيحرم على النار ولكن تنقص درجته في الجنة بقدر ذنوبه، وهذا من رجحت سيئاته بحسناته ومات مصرًا على ذلك فإن يستوجب النار. اهـ.

فمن رجحت سيئاته بحسناته وهو من أهل الإيمان فإنه في مشيئة الملك الديان، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه، ولكنه يدخل النار إذا دخلها دار عقوبة، ثم يخرج منها برحمة أرحم الراحمين ثم بشفاعة الشافعين ولا يخلد في النار أحد من أهل الإيمان.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٤٠).

وعن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يقول الله: من كان في قلبه مثقال حبّة من خردل من إيمان فأخرجوه»(١).

٨ ـ ومن شرف الإيمان أن العبد لا يفلح الفلاح التام ويهتدي الاهتداء الكامل إلا بالإيمان:

كما قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (البقرة: ١-٥).

قال السعدي ـ رحمه الله ـ: فهذا هو الهدى التام والفلاح الكامل، فلا سبيل إلى الهدى والفلاح اللذين لا صلاح ولا سعادة إلا بهما إلا بالإيمان التام بكل كتاب أنزله الله

---

(١) رواه البخاري (١١/ ٤٢٤) الرقاق.

وبكل رسول أرسله الله، فالهدى أجمل الوسائل والفلاح أكمل الغايات(١).

٩ ـ ولشرف الإيمان أخبر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أن الشيطان ليس له سلطان على أهله:

فقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ (النحل: ٩٩-١٠٠).

قال القاسمي ـ رحمه الله ـ: بين تعالى أن أثر وسوسته إنما يكون فيمن له سطان عليهم، أي تسلط وولاية من أوليائه المتبعين خطواته، وأما الذين آمنوا وتوكلوا على ربهم فصبروا على المكاره ولم يبالوا بما يلقون في سبيل الجهاد بالحق من العثرات، فليس له عليهم سلطان، فهم يضادون

(١) «المجموعة الكاملة» لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصرالسعدي (٣ العقيدة الإسلامية: ١٣١).

أمانيه ويهدمون كل ما يلقيه؛ لأن إيمانهم يفيدهم النور الكاشف عن مكره والتوكل على الله يفيدهم التقوية بالله فيمنع من معاندة الشيطان وقوة تأثيره[٢].

١٠ ـ ولشرف الإيمان وعد الله المؤمنين أجرًا عظيمًا وفضلاً كبيرًا:

فقال تعالى: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء:١٤٦)، وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيرًا﴾ (الأحزاب:٤٧)، فنسأل الله العظيم من فضله.

(١) «محاسن التأويل» (١٠/١٥٧).

كيف يزداد الإيمان وكيف تنمو شجرته

العبد إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله فقد غرس بذرة الإيمان في قلبه، فمن الناس من يتعهد هذه البذرة المباركة ويغذيها ويرويها بما تنبت به، فتمتد جذورها في أعماق قلبه وتخرج ساقها سامقة إلى السماء، فكلما اجتهد العبد في الطاعات كلما قويت شجرة الإيمان في قلبه، حتى تثمر الثمرات اليانعة، وهي لا تثمر مرة في السنة كما في سائر الأشجار ولكنها شجرة طيبة تؤتي أكلها كل حين، فكل وقت تثمر ثمرة، فلا يكاد يمر على المؤمن زمن قليل حتى يجني من ثمارها، والثمرة الواحدة خير من ثمار أشجار الدنيا جميعًا.

ومن أهمل هذه الشجرة في قلبه خرجت ضعيفة الجذور قليلة الفروع لا تكاد تثمر من ضعفها، وإذاهبت رياح الشهوات أو الشبهات تكاد تقتلعها من جذورها، لذا كان

الاهتمام بما تقوى به هذه الشجرة وبما تنمو به من أهم ما تنسك به المتنسكون، وأولى ما أنفقت فيه نفائس أنفاس العمر الميمون.

١ ـ فمن هذه الأسباب: معرفة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بأسمائه وصفاته وربوبيته وإلاهيته:

فكلما ازداد العبد علمًا بالله ـ عزَّ وجلَّ ـ وأسمائه وصفاته وربوبيته واستحقاقه ـ عزَّ وجلَّ ـ لجميع ألوان العبادة ازداد حبًا لله ـ عزَّ وجلَّ ـ، وخوفًا من عقابه، ورغبة في ثوابه، وطمعًا في جنته، وهربًا من عذابه.

قال الدكتور ضياء الدين الجماس: إن التفكر الدائم المستمر بأسماء الله تعالى وفهم معانيها يجعل القلب محبًا لهذه الذات العظيمة الكاملة الجميلة الأسماء، فالقلب مفطور على حب الكمال والجمال الإلٰهي، فالمفكر في هذه الطريق سيشعر بمشاعر لا يجد حلاوتها في غيره، فسيعاود مرات ومرات، حتى يجلَّ الله ويعظمه، ومن يجل

الله يغفر له فيصفو قلبه، ويشعر بالقرب من حضرة الله، لا أقول قرب مكان بل مكانة ومعرفة ومحبة.

وفي الحديث الشريف: «من تقرب إلى الله شبراً تقرب إليه ذراعًا، ومن تقرب إلى الله ذراعًا تقرب إليه باعًا، ومن أقبل إلى الله ماشيًا أقبل الله إليه مهرولاً»[1]. والله أعلى وأجل.

وهكذا تكون العلاقة الرائعة الجميلة بين العبد وربه، لينقله من الإيمان إلى التقوى فالإحسان[2].

وقال ابن القيم - رحمه الله -: جميع ما يبدو للقلوب من صفات الرب سبحانه يستغني العبد بها بقدر حظه وقسمه من معرفتها وقيامه بعبوديتها، فمن شهد مشهد علو الله

---

(١) رواه مسلم (١٧/ ١٢) الذكر والدعاء وحسن الظن بالله تعالى.
- قال النووي: والباع؛ هو طول ذراعي الإنسان وعضديه وعرض صدره.
- قال الباجي: وهو قدر أربع أذرع «شرح النووي» هامش (١٧/ ١٢).
(٢) التفكر في الأسماء طريق العلماء «دراسة موضوعية علمية في الأسماء والأفعال الإلهية»، (١٩) للدكتور ضياء الدين الجماس - ط. دار الهجرة.

تعالى على خلقه، وفوقيته لعباده، واستوائه على عرشه كما أخبر بها أعرف الخلق وأعلمهم به الصادق المصدوق، وتعبد بمقتضى هذه الصفة بحيث يصير لقلبه صمد يعرج إليه، مناجيًا له مطرقًا واقفًا بين يديه وقوف العبد الذليل بين يدي الملك العزيز فيشعر بأن كلمه وعمله صاعد إليه معروض عليه مع أوفى خاصته وأوليائه، فيستحي أن يصعد إليه من كلمه ما يخزيه ويفضحه هناك ويشهد نزول الأمر والمراسيم الإلاهية إلى أقطار العوالِم كل وقت بأنواع التدبير والتصرف من الإماتة والإحياء والتولية والعزل والخفض والرفع والعطاء والمنع وكشف البلاء وإرساله وتقلب الدول ومداولة الأيام بين الناس إلى غير ذلك من التصرفات في المملكة التي لا يتصرف فيها سواه، فمراسيمه نافذة فيها كما يشاء؛ ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (السجدة: ٥)، فمن أعطى المشهد حقه معرفةً وعبودية استغنى به.

وكذلك من شهد مشهد العلم المحيط الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماوات، ولا في قرار البحار ولا تحت أطباق الجبال، بل أحاط بذلك علمه علمًا تفصيليًا، ثم تعبد بمقتضى هذا الشهود، من حراسة خواطره وإرادته، وجميع أحواله ظاهرة مكشوفة لديه علانية بادية لا يخفى عليه منها شيء، وكذلك إذا أشعر قلبه صفة سمعه سبحانه لأصوات عباده على اختلافها وجهرها وخفائها، وسواء عنده من أسَرَّ القول ومن جهر به، لا يشغله جهر من جهر عن سمعه صوت من أسر، ولا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه الأصوات على كثرتها واختلافها واجتماعها، بل هي عنده كلها كصوت واحد كما أن خلق الخلق جميعًا وبعثهم عنده بمنزلة نفس واحدة.

وكذلك إذا شهد معنى اسمه البصير ـ جل جلاله ـ الذي يرى دبيب النملة السوداء على الصخرج الصماء في حَندس الظلماء، ويرى تفاصيل خلق الذرة الصغيرة، ومخها وعروقها ولحمها وحركتها، ويرى مَدَّ البعوضة جناحها في

ظلمة الليل، وأعطى هذا المشهد حقه من العبودية بحرس حركاته وسكناته، وتيقن أنها بمرأى منه سبحانه ومشاهدة لا يغيب عنه منها شيء.

وكذلك إذا شهد مشهد القيومية الجامع لصفات الأفعال، وأنه قائم على كل نفس بما كسبت، وأنه تعالى هو القائم بنفسه المقيم لغيره، القائم عليه بتدبيره وربوبيته وقهره، وإيصال جزاء المحسن وجزاء المسيء إليه، وأنه بكمال قيوميته لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، لا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يضل ولا ينسى، وهذا المشهد من أرفع مشاهد العارفين، وهو مشهد الربوبية، وأعلى منه مشهد الألوهية الذي هو مشهد الرسل وأتباعهم الحنفاء، وهو شهادة أن لا إله إلا الله، وأن إلاهية ما سواه باطل ومحال، كما أن ربوبية ما سواه كذلك، فلا أحد سواه يستحق أن يؤله ويعبد ويصلى له ويسجد، ويستحق نهاية الحب مع نهاية الذل، لكمال أسمائه وصفاته

وأفعاله، فهو المطاع وحده على الحقيقة والمألوه وحده، وله الحكم، فكل عبودية لغيره باطلة وعناء وضلال، وكل محبة لغيره عذاب لصاحبها، وكل غنى بغيره فقر وفاقة، وكل عزٍّ بغيره ذلٌّ وصغار، وكل تكثر بغيرة قلة وذلة، فكما استحال أن يكون للخلق رب غيره، فكذلك استحال أن يكون لهم إله غيره، فهو الذي انتهت إليه الرغبات، وتوجهت نحوه الطلبات، ويستحيل أن يكون معه إله آخر، فإن الإله على الحقيقة هو الغني الصمد الكامل في أسمائه وصفاته، الذي حاجة كل أحدٍ إليه ولا حاجة به إلى أحدٍ، وقيام كل شيء به وليس قيامه بغيره .. إلى أن قال: فمشهد الألوهية هو مشهد الحنفاء، وهو مشهد جامع للأسماء والصفات، وحظ العباد منه بحسب حظهم من معرفة الأسماء والصفات[1]. اهـ.

---

(١) نقلاً عن «معارج القبول» (١/ ٨٥-٨٧) لحافظ بن أحمد حكمي. ط. السلفية.

فانظر - رحمك الله - كيف أن المعرفة بالله - عزَّ وجلَّ - وأسمائه وصفاته وربوبيته وإلاهيته مما يغذي شجرة الإيمان في قلب العبد؛ ولذا كان أعلم الناس بالله - عزَّ وجلَّ - هم أكثرهم خشية لله - عزَّ وجلَّ - ومحبة له وتوكلاً عليه ورغبة في ثوابه وخوفًا من عقابه، قال النبي ﷺ: «أنا أعلمكم بالله، وأشدكم له خشية»[1]، وما خلق الله - عزَّ وجلَّ - الخلق إلا ليعرفوه - عزَّ وجلَّ - ويفردوه بالعبادة. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦).

٢ - ومن هذه الأسباب التي تغذي شجرة الإيمان: تدبر القرآن وأحاديث النبي ﷺ:

قال العلامة السعدي: إن المتدبر لا يزال يستفيد من علوم القرآن ومعارفه ما يزداد به إيمانًا، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الأنفال: ٢).

---

(١) رواه البخاري (١٠/ ٥١٣) الأدب، ومسلم (١٥/ ١٠٦) الفضائل، وأحمد (٦/ ٤٥-١٨١).

وكذلك إذا نظر إلى انتظامه وإحكامـه وأنه يصدق بعضه بعضًا، ويوافق بعضه بعضًا، ليس فيه تناقض ولا اختلاف، تيقن أنه: ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت:٤٢)، وأنه لو كان من عند غير الله لوجد فيه ـ من التناقض والاختلاف ـ أمورًا كبيرة، قال تعالى: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾ (النساء: ٨٢).

وهذا من أعظم مقويات الإيمان، ويقويه من وجوه كثيرة: فالمؤمن بمجرد ما يتلو آيات الله، ويعرف ما ركب عليه من الأخبار الصادقة والأحكام الحسنة يحصل له من أمور الإيمان خير كبير، فكيف إذا أحسن تأمله وفهم مقاصده وأسراره، ولهذا كان المؤمنون الكمل يقولون: ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ﴾ (آل عمران: ١٩٣).

وكذلك معرفة أحاديث النبي ﷺ، وما تدعو إليه من علوم الإيمان وأعماله، وكلها من محصلات الإيمان ومقوياته،

فكلما ازداد العبد معرفة بكتاب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وسنة رسوله ﷺ ازداد إيمانه ويقينه. فالتدبر للقرآن من أعظم الطرق والوسائل الجالبة للإيمان والمقوية له، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ (ص: ٢٩).

فاستخراج بركة القرآن ـ التي من أهمها حصول الإيمان ـ سبيله وطريقه تدبر آياته وتأملها كما ذكر: «أن تدبره يوقف الجاحد عن جحوده، ويمنع المعتدي على الدين من اعتدائه».

قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ (المؤمنون: ٦٨)، أي فلو تدبروه حق تدبره لمنعهم مما هم عليه: من الكفر والتكذيب؛ وأوجب لهم الإيمان واتباع من جاء به. وقال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ (يونس: ٣٩)، أي فلو حصل لهم الإحاطة بعلمه لمنعهم من التكذيب، وأوجب لهم الإيمان[١].

---

(١) باختصار من «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» ضمن المجموع الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (٣/ ١٠٨-١١١).

وإنما ينفع القرآن من كان في قلبه حياة، وسمعه أو قرأه بقلب حاضر بتدبر، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (ق:٣٧).

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: إذا أردت الانتفاع بالقرآن فأحضر قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه إليه، فإنه خطاب منه لك علي لسان رسوله، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق:٣٧).

وذلك أن تمام التأثير لما كان موقوفًا على مؤثر مقتضٍ، ومحل قابل، وشرطٍ لحصول الأثر، وانتفاء المانع الذي يمنع منه، تضمنت الآية بيان ذلك كله بأوجز لفظٍ وأبينه، وأدله على المراد، فقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَى﴾؛ إشارة إلى ما تقدم من أول السورة إلى هاهنا، وهذا هو المؤثر.

وقوله: ﴿ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ ؛ فهذا هو المحل القابل والمراد به القلب الحي الذي يعقل عن الله، كما قال تعالى: ﴿إِنْ

﴿ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ (٦٩) لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا ﴾ (يس: ٦٩-٧٠)، أي حي القلب. وقوله: ﴿ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ ﴾؛ أي وجه سمعه وأصغى حاسة سمعه إلى ما يقال له، وهذا شرط التأثر بالكلام. وقوله: ﴿ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾؛ أي شاهد القلب حاضر غير غائب.

قال ابن قتيبة: استمع كتاب الله وهو شاهد القلب والفهم، ليس بغافلٍ ولا ساهٍ، وهو إشارة إلى المانع من حصول التأثير، وهو سهو القلب وغيبته عن تعقل ما يقال له والنظر فيه وتأمله، فإذا حصل المؤثر وهو القرآن، والمحل القابل وهو القلب الحي، ووجد الشرط وهو الإصغاء، وانتفى المانع وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب وانصرافه عنه إلى شيء آخر حصل الأثر وهو الانتفاع والتذكر[١].

---

(١) «الفوائد» (٩، ١٠) لابن القيم. ط ـ دار الدعوة الإسكندرية.

٣ ـ معرفة النبي ﷺ وسيرته العطرة ودلائل نبوته ومعجزاته:

وقد كان كافي من عاصره ﷺ أن ينظر إلى وجهه الكريم فيرى علامات الصدق وآيات النبوة، كما قال حسان:

لَو لَم تَكُن فِيهِ آيَاتٌ مُبَيِّنَةٌ ... كانَت بَدِيهَتُهُ تَأتِيكَ بِالخَبَرِ

ولما رآه عبد الله بن سلام رضي الله عنه وكان حبرًا من أحبار يهود المدينة قال: أشهد أن وجهك ليس بوجه كذاب.

كما أن سيرته ﷺ أكبر شاهد على نبوته وصدقه.

قال ابن حزم ـ رحمه الله ـ: فهذه السيرة العظيمة لمحمد ﷺ لمن تدبرها تقتضي تصديقه ضرورة وتشهد له بأنه رسول الله حقًا، فلو لم تكن له معجزة غير سيرته لكفى[(١)].

على أن السيرة المباركة تشتمل على كثير من معجزاته ﷺ فمن ذلك حنين الجذع اليابس إلى ﷺ، فظل يخور

(١) «الفصل» (٢/ ٩٠).

خوار الرضيع إلى أمه، وقد تركه النبي ﷺ وصعد على المنبر، فتألم لفراقه.

ومن ذلك انشقاق القمر لإشارته ﷺ وسجل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ هذه المعجزة، فقال تعالى: ﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ** ﴾ (القمر: ١-٢). ومن ذلك نبع الماء من بين أصابعه ﷺ . ومن ذلك تسليم الحجر عليه ﷺ [1].

ولاشك في أن أكبر معجزاته ودلائل صدقه ﷺ القرآن المبين، وهو المعجزة الباقية إلى يوم الدين، قال ﷺ : «**ما من الأنبياء نبي إلا أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ فأرجوا أن أكون أكثرهم تبعاً يوم القيامة**»[2]

---

(١) انظر: معجزات النبي في رسالة: «تقريب الوصول إلى معرفة الرسول ﷺ» للعبد الفقير.

(٢) رواه البخاري (٨/ ٦١٨) فضائل القرآن، مسلم (٢/ ١٨٦) الإيمان.

فمعرفة النبي ﷺ وسيرته ودلائل نبوته مما يغذي شجرة الإيمان في قلب العبد، ويزيده إيمانًا ومحبة للنبي ﷺ، وقد قال النبي ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»**[(١)].

قال العلامة السعدي ـ رحمه الله ـ: ومن طرق موجبات الإيمان وأسبابه معرفة النبي ﷺ، ومعرفة ماهو عليه من الأخلاق العالية والأوصاف الكاملة، فإن من عرفه حق المعرفة لم يرتب في صدقه وصدق ما جاء به من الكتاب والسنة والدين الحق، كما قال تعالى: ﴿**أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ**﴾ (المؤمنون: ٦٩)، أي فمعرفته ﷺ توجب للعبد المبادرة إلى الإيمان ممن لم يؤمن، وزيادة الإيمان ممن آمن به، وقال تعالى حاثًّا لهم على تدبر أحوال الرسول الداعية للإيمان: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**﴾ (سبأ: ٤٦)[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (١/ ٧٥) الإيمان، ومسلم (٢/ ١٥) الإيمان.

(٢) «المؤلفات الكاملة» (٣/ ١١١) لمؤلفات الشيخ عبد الر[illegible].

٤ ـ ومن أسباب زيادة الإيمان في قلب الومن: معرفة محاسن الإسلام:

وأهليته لقيادة البشرية وكيف أنه الدين الذي رضيه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لعباده، وقال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ (آل عمران: ١٩)، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥)، وقال ـ عزَّ وجلَّ ـ متمننًا على العباد بنعمة الإسلام وإكمال الدين الحق لهم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

قال الشيخ عبد العزيز المحمد السلمان ما ملخصه: ليس في شريعة الإسلام ما تحيله العقول، وإنما فيه ما تشهد العقول السليمة الزكية بصدقه ونفعه وصلاحه، وكذلك أوامره كلها عدل لا حيف فيها ولا ظلم، فما أمر بشيء إلا وهو خير خالص أو راجح وما نهى عن شيء إلا وهو شر خالص أو ما تزيد مفسدته على مصلحته، وكلما تدبر العاقل اللبيب أحكام الإسلام قوي إيمانه وإخلاصه، وعندما

يتأمل ما يدعو إليه هذا الدين القويم يجده يدعو إلى مكارم الأخلاق، يدعو إلى الصدق والعفاف والعدل وحفظ العهود وأداء الأمانات والإحسان إلى اليتيم والمسكين وحسن الجوار وإكرام الضيف والتحلي بمكارم الأخلاق، يدعو إلى تحصيل التمتع بلذائذ الحياة في قصدٍ واعتدال، يدعو إلى البر والتقوى وينهى عن الفحشاء والمنكر والإثم والعدوان، لا يأمر إلا بما يعود على العالم بالخير والفلاح، ولا ينهى إلا عما يجلب الشقاء والمضرة للعباد.

وتأمل محاسن شرائع الإسلام الكبار التي هي إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت، فعندما تتأمل الصلاة التي هي صلة بين العبد وربه تجد فيها الإخلاص لله، والإقبال عليه، والأدب والاحترام والثناء والدعاء والخضوع له.

وانظر إلى ما أوجبه الله من الزكاة، ترى محاسن منها: إصلاح حال الفقراء، وسد حاجة المسكين، وقضاء دين

المدين، ومنهـا: التخلق بأخـلاق الكرام من السخـاء والجود والبعد عن أخلاق اللئـام، ومنها: أنها تطهر القلب من حب الدنيـا ببـذل اليسـير، ومنـهـا: حـفظ المال من الكدرات والمنغصات الحسية والمعنوية، ومنها: الاستعانة بها على الجهاد في سبيل الله والمصالح الكلية التي لا يستغني عنها المسلمون.

وتأمل الصيام وما فيـه من المحاسن التي منها: أنه يبعث في الإنسان فضيلة الرحمة بالفقراء والعطف على البائسين، فـإن الإنسان إذا جـاع تذكـر الفقـيـر الجائع، ومنهـا: أنه بامتناعه عن الأكل يـعرف فضل نعمة الله عليـه فيشكرها، ومنها: أن الصـيام يقوي النفس على الصبـر والحلم، وهما تجنب كل ما من شأنه إثارة الغضب.

وتأمل مـا في حج بيت الله من المحاسن التي منهـا: أنه مجـمع لسراة المسلمين يجـتمعـون فيه من مـشارق الأرض ومغـاربها في صعيـد واحد يعبـدون إلاهًا واحدًا، قلوبهم مـتحـدة، وأرواحهم مـؤتلفة في الحج، يتـذكر المسلمـون

الرابطة الدينية وقوة الوحدة الإسلامية، ومن محاسن الحج: تصفية النفس وتعويدها البذل والإنفاق، وتحمل المشاق، وترك الزينة والخيلاء، ومنها: شعور المرء بمساواته لغيره، فلا ملك ولا مملوك ولا غني ولا فقير[(١)].

٥ ـ ومن أسباب نماء شجرة الإيمان في قلب المؤمن: التفكر في مخلوقات الله ـ عزَّ وجلَّ ـ:

وقد نهانا النبي ﷺ عن التفكر في ذات الله شفقة على عقولنا الضعيفة القاصرة الناقصة، وأمرنا بالتفكر في ملخوقاته فإنها توصلنا كذلك إلى الإيمان بالله ـ عزَّ وجلَّ ـ وعظمته وكبريائه؛ فإن عظمة المخلوق تدل على عظمة الخالق.

---

(١) باختصار وتصرف من رسالة «من محاسن الدين الإسلامي» (٥/ ١٢) لعبد العزيز المحمد السلمان. الطبعة الثامنة، وهي وقف لله تعالى.
ـ وانظر لمزيد الفائدة في هذا الباب: رسالة «محاسن الإسلام والرد على أباطيل خصومه» للعلامة محمد الأمين الشنقيطي ـ رحمه الله ـ بتحقيق وتعليق ساعد عمر غازي ـ ط. المكتبة القيمة

عن عبد الله بن سلام مرفوعًا: «ولا تفكروا في الله وتفكروا في خلق الله، فإن ربنا خلق مَلَكًا قدماه في الأرض السابعة السفلى ورأسه قد جاوز السماء العليا، ما بين قديمه إلى ركبتيه مسيرة ستمائة عام، وما بين كعبيه إلى أخمص قدميه مسيرة ستمائة عام، والخالق أعظم من المخلوق»(١).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ (آل عمران: ١٩٠).

قال القاسمي: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، أي في إيجادهما على ما هما عليه من الأمور المدهشة، تلك في ارتفاعها واتساعها، وهذه في انخفاضها وكثافتها واتضاعها وما فيها من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب سيارات

---

(١) رواه أبونعيم في «الحلية» (٦/ ٦٦-٦٧) من طريق عبد الجليل بن عطية عن شهر عنه.
- وقال الألباني: وهذا إسناد حسن في الشواهد عبد الجليل وشهر وهو ابن حوشب صدوقان سَيِّئا الحفظ، وسائر الرجال ثقات، وانظر بقية الشواهد في «الصحيحة» رقم (١٧٨٨).

وثوابت وبحار وجبال وقفار وأشجار ونبات وزروع وثمار وحيوان ومعادن ومنافع مختلفة الألوان والطعوم والروائح والخواص. ﴿ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾؛ أي في تعاقبهما وكون كل منهما خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها، أو في تفاوتهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر، وانتقاصه بازدياده ﴿ لآيَاتٍ ﴾؛ أي: لأدلة واضحة على الصانع وعظيم قدرته وباهر حكمته، والتنكير للتفخيم كَمًّا وكيفًا، أي كثرة عظيمة. ﴿ لأُولِي الأَلْبَابِ ﴾؛ أي لذوي العقول المجلوّةً بالتزكية والتصفية بملازمة الذكر دائمًا، كما قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (آل عمران: ١٩١).

﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾؛ أي فلا يخلو حال من أحوالهم عن ذكر الله، المفيد صفاء الظاهر، المؤثر في تصفية الباطن، فالمراد تعميم الذكر بها، لأنها الأحوال المعهودة التي لا يخلو عنها الإنسان غالبًا.

﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾؛ أي في إنشائهما بهذه الأجرام العظام وما فيها من عجائب المصنوعات وغرائب المبتدعات؛ ليدلهم ذلك على كمال قدرة الصانع ـ سبحانه وتعالى ـ، فيعلموا أن لهما خالقًا قادرًا مدبرًا حكيمًا لأن عظم آثاره وأفعاله تدل على عظم خالقها تعالى، كما قيل:

وَفِي كُلِّ شَيءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الوَاحِدُ

قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً ﴾؛ بمعنى يتفكرون قائلين ذلك، وكلمة ﴿ هَذَا ﴾ متضمنة لضرب من التعظيم، أي ما خلقت هذا المخلوق البديع العظيم الشأن عبثًا عاريًا عن الحكمة خاليًا عن المصلحة، بل متضمنًا لحكم جليلةٍ ومصالح عظيمةٍ، من جملتها أن يكون دلالة على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك، وأن يكون مدارًا لمعايش العباد ومنارًا يرشدهم إلى معرفة أحوال المبدأ والمعاد[1].

---

(١) باختصار من «محاسن التأويل» للقاسمي (٣٢١-٣٢٤) دار الفكر.

وقال تعالى: ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات: ٢٠-٢١).

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ ما ملخصه: فآيات الأرض أنواع كثيرة، منها: خلقها بعد عدمها، وشواهد الحدوث والافتقار إلى الصانع عليها لا تجحد، فإنها شواهد قائمة بها، ومنها: سعتها وكبر خلقها، ومنها: تسطحيها، كما قال تعالى: ﴿وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ (الغاشية: ٢٠)، ولا ينافي ذلك كونها كُرِّيَة فهي كرة في الحقيقة لها سطح يستقر عليه الحيوان، ومنها أنه جعلها فراشًا لتكون مقر الحيوان ومساكنه، وجعلها قرارًا، وجعلها مهادًا ذلولاً توطأ بالأقدام، وتضرب بالمعاول والفئوس، وتحمل على ظهرها الأبنية الثقال، فهي ذلولٌ مسخرة لما يريد العبد منها، وجعلها بساطًا، وجعلها كفاتًا للأحياء تضمهم على ظهرها، وللأموات تضمهم في بطنها. . .

إلى أن قال ـ رحمه الله ـ: ثم قال: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ لما كان أقرب الأشياء إلى الإنسان نفسه؛ دعاه

خالقه وبارئه ومصوره وفاطره من قطرة ماء إلى التبصر والتفكر في نفسه؛ فإذا تفكر الإنسان في نفسه استنارت له آيات الربوبية، وسطعت له أنوار اليقين، واضمحلت عنه غمرات الشك والريب، وانقشعت عنه ظلمات الجهل، فإنه إذا نظر في نفسه وجد آثار التدبير فيه قائمات، وأدلة الوحيد على ربه ناطقات، شاهرة لمدبره دالة عليه مرشدة إليه، إذ يجده مكونًا من قطرة ماء لحومًا منضدة، وعظامًا مركبة، وأوصالاً متعددة، مأسورة مشدودة بحبال العروق والأعصاب، قد قمطت وشدت بجلد متين، مشتمل على ثلاثمائة وستين مفصلاً ما بين كبير وصغير وثخين ودقيق، ومستطيل ومستدير، ومستقيم ومنحن، وشدت هذه الأوصال بثلاثمائة وستين عرقًا للاتصال والانفصال والقبض والبسط، والمد والضم، والصنايع والكتابة[(١)].

(١) باختصار من «التبيان في أقسام القرآن» (١٨٣-١٨٨) وقد أطال جدًا ـ رحمه الله ـ كعادته حتى نهاية الكتاب، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا.

قال الغزالي ـ رحمه الله ـ: والعجب كل العجب ممن يرى خطًا حسنًا أو نقشًا حسنًا على حائط فيستحسنه، فيصرف جميع همه إلى التفكر في النقاش والخطاط، وأنه كيف نقشه وخطه، وكيف اقتدر عليه، ولا يزال يستعظمه في نفسه ويقول ما أحذقه وما أكمل صنعته، وأحسن قدرته، ثم ينظر إلى هذه العجائب في نفسه وفي غيره، ثم يغفل عن صانعه ومصوره فلا تدهشه عظمته، ولا يحيره جلاله وحكمته[(١)].

٦ ـ ومن أعظم أسباب نماء شجرة الإيمان: كثرة النوافل بعد استكمال الفرائض:

لقول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في الحديث القدسي: **«وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه»**[(٢)].

---

(١) «إحياء علوم الدين» (ص ٢٨٢٠) للغزالي ط. الشعب.

(٢) رواه البخاري (١١/ ٣٤٨، ٣٤٩) الرقاق، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٤). وانظر طرق الحديث في «الصحيحة» رقم (١٦٤٠).

والنوافل هي ما عدا الفرائض من أجناس الطاعات، وهي التي رغبنا الشرع فيها ولم يوجبها، قال العلماء: ما بال النوافل كانت هي السبب الموصل إلى محبة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ دون الفرائض، وأجاب بعضهم بأن العبد يفعل الفرائض خوف العقوبة ورجاء الأجر، أما النوافل فلا عقوبة في تركها فيفعلها العبد بإخلاص نية التحبب والتقرب إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، فلما خلصت النية في النوافل كانت هي السبب الموصل إلى محبة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ دون الفرائض، وإنما تكون النافلة نافلة إذا جاءت زائدة على الفرض، كما قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لنبيه ﷺ: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ (الإسراء: ٧٩)، فهي نافلة في حق النبي ﷺ لكمال فرائضه.

وكان المنهج الرباني في تربية الصحابة رضي الله عنهم مشروعية قيام الليل في صدر الدعوة، فلاشك في أن كثر النوافل استجابة لله ـ عزَّ وجلَّ ـ وللرسول ﷺ، وقد قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (الأنفال: ٢٤)، فمهما استجاب العبد لله ـ عزَّ وجلَّ ـ

ولرسوله ﷺ وتقرب إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بما يقربه إليه أحيا الله ـ عزَّ وجلَّ ـ شجرة الإيمان في قلبه، ومهما قصر العبد في الطاعة والعبادة ذَبُلَت شجرة الإيمان فيحس العبد برقة في دينه وضعف في يقينه، فالحازم العاقل هو الذي يتعهد شجرة الإيمان بالخدمة والري كما يتعهد جسده بالغذاء والسقيا، فإن موت شجرة الإيمان في قلبه أضر عليه من موت جسده، فموت الجسد يقطع عن الدنيا، وموت شجرة الإيمان في قلب العبد يقطع عن الدنيا والآخرة. قال بعض السلف: يا عجبا من الناس يبكون على من مات جسده ولا يبكون على من مات قلبه وهو أشد.

٧ ـ ومن أسباب نماء شجرة الإيمان: أن يطهر العبد قلبه من الأخلاق الدنيئة والصفات المذمومة، وأن يطهر جوارحه مما ينافي الإيمان ويضاده:

قال الأستاذ سليم الهلالي: إن الشجرة الطيبة لابد أن يخالطها نبت غريب ليس من جنسها، فإن تعاهدها صاحبها ونقاها وقلعه كمل الغرس والزرع واستغلظ

واستوى على سوقه وكـان أوفر لثمره وأطيب وأزكى، وإن تركـه أوشك أن يغلب على الغـراس والزرع ويكون الحكم له، أو يضعف الأصل ويجـعل الثمـرة ذميمـة لا طعم لها بحسب كثرته وقلته، ولذلك فالمؤمن دائمًا سعيه في أمرين:

الأولـ سقي هذه الشجرة لتبقى وتدوم.

الآخرـ تنقية هذه الشجرة لتكتمل وتتم.

وحينئذ يجب حلاوة الإيمان، ودونك البيان.

قال ﷺ: **«ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً»**(١).

وقال ﷺ: **«ثلاث من كن فيه وجد حلاوج الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»**(٢). اهـ.

---

(١) تقدم تخريجه (ص٤٩).

(٢) «حلاوة الإيمان» لسليم الهلالي (١٠، ١١) دار ابن الجوزي، والحديث تقدم تخريجه (ص٤٨).

فعلى العبد أن يتباعد عن الشبهات والشهوات المحرمة، وأن يطهر قلبه وجوارحه مما ينافي الإيمان، وذلك بتطييب قلبه وجوارحه حتى تترعرع شجرة الإيمان في قلبه، ولا يشاركها في أرض قلبه من الدغل ما يضعفها.

٨ ـ ومن أسباب نماء شجرة الإيمان في قلب العبد: أن يعيش العبد في أجواء إيمانية، وأن يتنفس هواء الإيمان، وأن يتباعد عن الأجواء المسممة بالمعاصي والشهوات والشبهات:

فمهما كانت الشجرة من أشجار الصيف فتعرضت لأجواء الشتاء تذبل ويسقط ورقها، كذلك إذا كانت من أشجار الشتاء فتعرضت لحر الصيف ذبلت، وشجرة الإيمان يوافقها ما يحبه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ويرضاه، فتنمو في أجواء الإيمان، فحضور صلاة الجماعة ودروس العلم، ومجالسة الصالحين، والبعد عن المجتمعات الغربية التي تدين بالكفر والإباحية، لاشك في أنه يناسب شجرة الإيمان، وليس

شيءٌ أنفع لقلب العبد من مجالسة الصالحين والنظر إلى أفعالهم، وليس شيء أضر على قلب العبد من مجالسة الفاسقين والنظر إلى أفعالهم.

فمن أراد سلامة شجرة الإيمان ونمائها فعليه أن يعرضها لما يلائمها حتى تنمو وتزدهر، وليحذر من أن يعرضها لما يضادها وينافي طبيعتها خشية أن تذبل وتضمحل ولا تؤتي أكلها، فحضور دروس العلم وصلاة الجماعة وعيادة المرضى وتشييع الجنائز والتردد إلى الأماكن المقدسة للحج والعمرة والزيارة فهناك تسكب العبرات، وتتنزل الرحمات، ومن فضل الله على العبد وتيسيره له الليسرى أن يوفقه للأزمنة الشريفة والأمكنة الشريفة، ولاشك في أن تنفس هواء الطاعة والإيمان في هذه الأماكن مما يناسب شجرة الإيمان ويكون من أسباب نمائها، فنسأل الله أن يوفقنا لطاعته وأن ييسر لنا أسباب رحمته وجنته.

٩ ـ ومن أسباب نماء شجرة الإيمان: كثرة الذكر لله ـ عزَّ وجلَّ ـ:

وقد قال النبي ﷺ : **«الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت»**(١) ، وهذا إشارة إلى أن الذكر من أعظم أسباب حياة شجرة الإيمان في قلب العبد، وكان شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ يجلس في ذكر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ من صلاة الفجر إلى قريب من صلاة الظهر ويقول: هذه غدوتي ولو لم أتغد لسقطت قوتي. وقال ـ رحمه الله ـ: «الذكر للقلب كالماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا أخرج من الماء».

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: الذكر هو المنزلة الكبرى التي منها يتزود العارفون، وفيها يتجرون، وإليها دائمًا يترددون، وهو منشور الولاية الذي من أُعطيه اتصل ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب العارفين التي متى فارقتها

---

(١) رواه البخاري (١١/ ٢٠٨) الدعوات، ومسلم (٦/ ٦٨) صلاة المسافرين.

صارت الأجساد لها قبوراً، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بوراً، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الطريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب.

والسبب الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب، به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات، إذا أظلهم البلاء فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم، فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون، ورؤوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون، يدع القلب الحزين ضاحكًا مسروراً، ويوصل الذاكر إلى المذكور بل يدع الذاكر مذكوراً.

وفي كل جارحة من الجوارح عبوديته مؤقتة، والذكر عبودية القلب واللسان وهي غير مؤقتة، بل هم يؤمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم قيامًا وقعوداً وعلى جنوبهم، فكما أن الجنة قيعان وهو غراسها، فكذلك القلوب بور خراب وهو عمارتها وأساسها، وهو جلاء القلوب

وصقالتها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقًا ازداد محبة إلى لقائه للمذكور واشتياقًا، وإذا واطأ في ذكره قلبه للسانه نسي في جنب ذكره كل شيء، وحفظ الله عليه كل شيءٍ، وكان له عوضًا من كل شيء، به يزول الوقر عن الأسماع، والبكم عن الألسنة، وتنقشع الظلمة عن الأبصار.

زين الله به ألسنة الذاكرين كما زين بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل كالعين العمياء والأذن الصماء واليد الشلاء . . وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته.

قال الحسن البصري: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة وفي الذكر وقراءة القرآن، فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق[١].

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٤٢٣-٤٢٤).

ـ وانظر: فوائد الذكر لابن القيم في كتابه الطيب «الوابل الصيب»

١٠ ـ ومن أسباب نماء شجرة الإيمان: أن يشارك العبد في الدعوة إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ:

قال النبي ﷺ: «**نَضَّرَ الله امرءاً سمع منا حديثًا فبلغه إلى من لم يسمعه، فرب حامل فقه ليس بفقيه، رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه**»[(١)]. وأن يشارك في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فإذا سعى العبد في إحياء الشريعة وجعلها غضة طرية، أحيا الله ـ عزَّ وجلَّ ـ له شجرة الإيمان في قلبه، والكتاب والسنة هما الروح فلا حياة بدونهما، وهما النور فلا هداية في غيرهما.

---

(١) رواه أحمد (٥/ ١٨٣)، والترمذي (١٠/ ١٢٥، ١٢٦) أبواب العلم، وابن ماجه (٢٣١) المقدمة، وابن حبان رقم (٦٧)، رقم (٦٨٠) من الإحسان، والدارمي (١/ ٧٥). وللحديث طريق وروايات كثيرة، وصححه الألباني وأورده السيوطي في «الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة» رقم(٢٥).

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الشورى: ٥٢)، وقال تعالى: ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ (الأنعام: ١٢٢)، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (الأنفال: ٢٤).

ومن مارس الدعوة إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ علم كيف يحيا قلب الواعظ بوعظه، والجزاء من جنس العمل، فكما يسعى لإحياء قلوب الناس بالإسلام والإيمان فإن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يكافئه بحياة قلبه، ونماء شجرة الإيمان فيه، ولا يطلب من الناس كلهم أن يكونوا خطباء على المنابر، وذلك من فروض الكفايات.

ومن كثرة المنكرات وقلة الداعين فقد وجب وجوبًا عينيًا على كل قادر على الدعوة إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أن يدعو

بأي وسيلة يقدر عليها، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، والذي لا يتمكن من الدعوة العامة ويمكنه أن يدعو جاره أو رفيقه في العمل فيجب عليه ذلك أيضًا، وإنكار المنكرات من تعظيم الشرع ومن إحياء الشريعة، وهو من أسباب نماء شجرة الإيمان، والسكوت عن الإنكار يؤثر في شجرة الإيمان، فلا يزال العبد يرى المنكرات ولا ينكرها حتى يذهب استقباحها من قلبه، وإذا لم ينكر القلب المنكَر دل على ذهاب الإيمان منه، لذا قال النبي ﷺ: **«ومن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»**(١)

---

(١) تقدم تخريجه (ص٢٩).

صفات المؤمنين

المؤمن زكي النفس، نظيف القلب، طاهر القلب والجوارح، ينضح بالطيب، هو كما وصفه النبي ﷺ: «حامل المسك»[(١)]، لابد أن يجد من يجالسه ويخالطه شيئًا من بركته ونفعه، فهو مبارك أينما كان، فهو إما أن يكون من الدعاة بحاله ومقاله، وإما أن يكون قدوة في الخير يعمل به ويقتدى به، تستريح النفوس برؤيته، وتسعد القلوب بسماعه، ويعرف شرف الإيمان بمعاملته، وكيف لا يكون المؤمن كذلك وهو يؤمن بالدين الذي تكفل بالسعادة

---

(١) قال النبي ﷺ: **«ومثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك، إن لم يصبك منه شيءٌ أصابك من ريحه»**. رواه أبو داو (٤٨٠٨) الأدب، وصححه في تحقيق «جامع الأصول».

ـ قال المباركفوري: والمقصود بضرب المثل بيان علو شأن المؤمن وارتفاع عمله وانحطاط شأن الفاجر وإحباط عمله «عون المعبود» (١٣/ ١٧٧).

الدنيوية والأخروية، فقد تكفل الإسلام بتهذيبه وتربيته، قال الله تعالى: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ ولا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يومَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (طه: ١٢٣-١٢٤).

فهذه بعض صفات المؤمنين كما وصفهم من خلقهم ورزقهم وهداهم لهذا الدين، وكذلك ما وصفهم به سيد الأولين والآخرين ﷺ لعلنا نحذو حذوهم ونتمسك بطريقتهم، ونتصف بصفاتهم، حتى نجني بعد ذلك ثمرات الإيمان الطيبة المباركة ما وعد الله به عباده المؤمنين.

١ - فمن صفاتهم: ما ذكره الله - عزَّ وجلَّ - في صدر سورة المؤمنون:

من قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ

ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (المؤمنون: ١-١١).

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ ما ملخصه: قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾؛ أي قد فازوا وسعدوا وحصلوا على الفلاح، وهم المؤمنون المتصفون بهذه الأوصاف. ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾؛ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ خَاشِعُونَ ﴾؛ خائفون ساكنون.

وقال محمد بن سيرين: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة فلما نزلت هذه الآية: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾؛ خفضوا أبصارهم إلى موضع سجودهم.

والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فرغ قلبه لها، واشتغل بها عمَّا عداها، وآثرها على غيرها، وحينئذٍ تكون راحة له وقرة عين، كما قال النبي ﷺ: «**حُبب إليَّ الطيب**

والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة»[١]. وعن رجل من أسلم أن رسول الله ﷺ قال: «يا بلال، أرحنا بالصلاة»[٢].

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾؛ أي عن الباطل، وهو يشتمل الشرك والمعاصي كما قاله آخرون، وما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (الفرقان: ٧٣)، قال قتادة: أتاهم والله من أمر الله ما وقفهم عن ذلك.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾؛ الأكثرون على أن المراد بالزكاة هاهنا زكاة الأموال، مع أن هذه الآية مكية، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة في سنة اثنتين من الهجرة، والظاهر أن التي فرضت بالمدينة إنما هي ذات النصب

(١) رواه النسائي (٧/ ٦١) عشرة النساء، وأحمد (٣/ ١٢٩، ١٩٩، ٢٨٥)، والحاكم (٢/ ١٦٠) النكاح، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني.

(٢) رواه أبو داود (٤٩٦٤) الأدب.

ـ والحديث سكت عنه المنذري، وصححه في تحقيق «جامع الأصول».

والمقادير الخاصة، وإلا فالظاهر أن أصل الزكاة كان واجبًا بمكة، قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ (الأنعام:١٤١)، وقد يحتمل أن يكون المراد بالزكاة هاهنا زكاة النفس من الشرك والدنس كقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (الشمس:٩-١٠)، وكقوله: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ (فصلت:٦-٧)، على أحد القولين في تفسيرها، وقد يحتمل أن يكون كلا الأمرين مُرادًا وهو زكاة النفوس وزكاة الأموال، فإنَّه من جملة زكاة النفوس، والمؤمن الكامل هو الذي يفعل هذا وهذا والله أعلم[(١)]. اهـ.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ (المؤمنون:٥-٧)؛

(١) تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٢٣٨-٢٣٩).

ـ وانظر: «رسالة تعظيم قدر الصلاة وطريق الخشوع فيها» للعبد الفقير.

قال الشنقيطي ـ رحمه الله ـ: ذكر ـ جل وعلا ـ في هذه الآيات الكريمة أن من صفات المؤمنين المفلحين الذين يرثون الفردوس ويخلدون فيها حفظهم لفروجهم: أي من اللواط والزنا ونحو ذلك، وبين أن حفظهم فروجهم لا يلزمهم عن نسائهم الذين ملكوا الاستمتاع بهن بعقد الزواج أو بملك اليمين، والمراد به التمتع بالسراري، وبين أن من لم يحفظ فرجه عن زوجه أو سريته لا لوم عليه، وأن من ابتغى تمتعًا بفرجه وراء ذلك غير الأزواج والمملوكات فهو من العادين، أي المعتدين المتعدين حدود الله المجاوزين ما أحله الله إلى ما حرمه.

وبيَّن معنى العادين في هذه الآية، قوله تعالى في قوم لوط: ﴿ **أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ** ﴾ (الشعراء: ١٦٥-١٦٦).

وهذا الذي ذكره هنا ذكره أيضًا في سورة سأل سائل، لأنه قال فيها في الثناء على المؤمنين: ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ**

لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ (المعارج: ٢٩-٣١)[١].

وقال ـ رحمه الله ـ في المسائل المتعلقة بهذه الآية ما ملخصه:

المسألة الثالثة: اعلم أنه لاشك في أن آية: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾؛ هذه التي هي: ﴿ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾؛ تدل بعمومها على منع الاستمناء باليد المعروف، بجلد عميرة، ويقال له: الخضخضة، لأن من تلذذ بيده حتى أنزل منيه بذلك قد ابتغى وراء ما أحله الله، فهو من العادين بنص هذه الآية الكريمة المذكورة هنا، وفي سورة (سأل سائل)، وقد ذكر ابن كثير: أن الشافعي ومن تبعه استدلوا بهذه الآية على منع الاستمناء باليد، وقال القرطبي: قال محمد بن عبد الحكم: سمعت حرملة بن

(١) «أضواء البيان» للشنقيطي (٧٥٩-٧٦٠) ـ السلفيون يتحدثون.

عبد العزيز قال: سألت مالكًا عن الرجل يجلد عميرة فتلا هذه الآية: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿ الْعَادُونَ ﴾.

قال: والذي يظهر لي أن استدلال مالك والشافعي وغيرهما من أهل العلم بهذه الآية الكريمة على منع جلد عميرة الذي هو الاستمناء باليد استدلال صحيح بكتاب الله يدل عليه ظاهر القرآن، ولم يرد شيء يعارضه من كتاب ولا سنة، وما روي عن الإمام أحمد مع علمه وجلالته وورعه من إباحة جلد عميرة مستدلاً على ذلك بالقياس قائلاً: وهو إخراج فضلة من البدن تدعو الضرورة إلى إخراجها فجاز قياسًا على الفصد والحجامة. فهو خلاف الصواب، وإن كان قائله في المنزلة المعروفة التي هو بها، لأنه قياس يخالف ظاهر عموم القرآن، والقياس إذا كان كذلك رد بالقادح المسمى فساد الاعتبار[١].

---

(١) المصدر السابق (٥/ ٧٦٩، ٧٧٠) باختصار.

قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ (المؤمنون: ٨).

قال الزمخشري: وقرئ: ﴿ لأَمَانَتِهِمْ ﴾ سمى الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه أمانة وعهداً، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ (النساء: ٥٨)، وقال: ﴿ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ ﴾ (الأنفال: ٢٧)، وإنما تؤدى العيون لا المعاني، ويخان المؤتمن عليه لا الأمانة في نفسها، والراعي: القائم على الشيء بحفظ أو إصلاح، كراعي الغنم وراعي الرعية. ويقال: من راعي هذا الشيء؟ أي متوليه وصاحبه: ويحتمل العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله تعالى ومن جهة الخلق، والخصوص فيما حملوه من أمانات الناس وعهودهم.

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ (المؤمنون: ٩).

وقرئ: ﴿ عَلَىٰ صَلاَتِهِمْ ﴾ فإن قلت: كيف كرر ذكر الصلاة أولاً وآخراً؟ قلت: هما ذكران مختلفان فليس بتكرير. وصفوا الأول بالخشوع في صلاتهم. وآخراً

بالمحافظة عليها، وذلك أن لا يسهوا عنها، ويؤدوها في أوقاتها، ويقيموا أركانها، ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها، وبما ينبغي أن تتم به أوصافها. وأيضًا فقد وجدت أولاً ليفاد الخشوع في جنس الصلاة أي صلاة كانت، وجمعت آخرًا لتفاد المحافظة على أعدادها: وهي الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلاة، وصلاة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقاء والكسوف والخسوف وصلاة الضحى والتهجد وصلاة التسبيح وصلاة الحاجة وغيرها من النوافل[1]. اهـ.

ثم ختم الله ـ عزَّ وجلَّ ـ هذه الآيات الكريمات في وصف المؤمنين المفلحين بقوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠-١١).

قال القرطبي: ثم قال: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾؛ أي من عمل بما ذكر في هذه الآيات فهم الوارثون، أي يرثون

---

(١) «الكشاف» للزمخشري (٣/ ١٧٧) ط. الريان.

منازل أهل النار في الجنة، وفي الخبر عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ : «**إن الله تعالى جعل لكل إنسان مسكنًا في الجنة ومسكنًا في النار، فأما المؤمنون فيأخذون منازلهم ويرثون منازل الكفار، ويجعل الكفار في منازلهم في النار**»[١] . خرجه ابن ماجه بمعناه

وعن أبي هريرة أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ : «**ما منكم من أحدٍ إلا وله منزلان: منزل في الجنة ومنزل في النار، فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله، فذلك قوله تعالى:** ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴾»[٢] . إسناده صحيح، ويحتمل أن يكون الحصول على الجنة وراثة من حيث حصولها دون غيرهم فهو اسم مستعار على وجهين، والفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها» خرجه الترمذي من حديث الربيع بنت النضر أم حارثة، وقال: حديث حسن صحيح، وفي حديث مسلم: «**فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط**

(١) رواه ابن ماجه (٤٣٤١) زهد. وهو بلفظ الآتي بعده.

الجنة وأعلى الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة»[١]. قال أبو حاتم محمد بن حبان: قوله ﷺ: «فإن أوسط الجنة»، يريد أن الفردوس في وسط الجنان في العرض وهو أعلى الجنة يريد الارتفاع، وهذا كله يصحح قول أبي هريرة: «إن الفردوس جبل الجنة التي تفجر منه أنهار الجنَّة».

﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾؛ فأنث على معنى الجنة[٢].

٢ ـ ومن صفاتهم ما وصفهم الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بقوله:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الأنفال: ٢-٤).

(١) رواه البخاري (٦/ ١١) الجهاد، ومسلم (١٣/ ٢٨) الإمارة، والترمذي (١٠/ ٨) صفة الجنة، وابن ماجه (٤٣٣١) الزهد.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٥/ ٤٥٠٠) باختصار.

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ ما ملخصه: وصف الله تعالى المؤمنين في هذه الآية بالخوف والوجل عند ذكره، وذلك لقوة إيمانهم ومراعاتهم لربهم، وكأنهم بين يديه، ونظير هذه الآية: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ۝٣٤ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (الحج: ٣٤-٣٥)، وقال: ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الرعد: ٢٨)، فهذا يرجع إلى كمال المعرفة وثقة القلب. والوجل: الفزع من عذاب الله. فلا تناقض، وقد جمع الله بين المعنيين في قوله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الزمر: ٢٣).

أي تسكن نفوسهم من حيث اليقين إلى الله، وإن كانوا يخافون الله فهذه حالة العارفين بالله الخائفين من سطوته وعقوبته، لا كما يفعله جهال العوام والمبتدعة الطغام من الزعيق والزئير، ومن النُّهاق الذي يشبه نهاق الحمير، فيقال لمن تعاطى ذلك وزعم أنه وجدٌ وخُشوع لم تبلغ أن تساوي حال الرسول ﷺ ولا حال أصحابه في المعرفة بالله والخوف

منه والتعظيم لجلاله، ومع ذلك فكانت حالهم عند المواعظ الفهم عن الله والبكاء خوفًا من الله، ولذلك وصف الله أحوال أهل المعرفة عند سماع ذكره وتلاوة كتابه، فقال: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (المائدة: ٨٣).

فهذا وصف حالهم وحكاية مقالهم، ومن لم يكن كذلك فليس على هديهم ولا على طريقتهم، فمن كان مُستنًا فليستن. ومن تعاطى أحوال المجانين والجنون فنون، عن العرباض بن سارية: **«وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ..» الحديث**[(١)].

(١) رواه أحمد (٤/ ١٢٦، ١٢٧)، وأبو داود (١٢/ ٣٥٩، ٣٦٠) السنة، والترمذي (١٠/ ١٤٤) العلم وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٤٣) المقدمة، والدارمي (١/ ٤٤، ٤٥) اتباع السنة، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢٠٥) وقال: هذا حديث حسن، وصححه الألباني في «الظلال».

ولم يقل: زعقنا ولا رفصنا ولا رفنا ولا قمنا(١).

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (الأنفال: ٢).

قال القاسمي: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ ﴾؛ أي حججه، وهي القرآن ﴿ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾؛ أي يَقِينًا وطُمَأْنِينَةَ نَفسٍ، إلى ما عندهم، فإن تظاهر الأدلة أقوى للمدلول عليه وأثبت لقدمه، وقد استدل البخاري وغيره من الأئمة بهذه الآية وأشباهها على زيادة الإيمان وتفاضله في القلوب كما هو مذهب جمهور الأمة، بل قد حكي الإجماع عليه غير واحد كالشافعي وأحمد بن حنبل وأبي عبيد، ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾؛ أي لا يرجون سواه، ولا يخشون غيره ولا يفوِّضون أمورهم إلى غيره.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٤/ ٢٨٠٢).
- زفن (من باب ضرب) رقص وأصله الدفع الشديد والضرب بالرجل كما يفعل الراقص.

ولما ذكر تعالى أعمالهم الحسنة أعمال القلوب من الخشية والإخلاص والتوكل أعقبه بأعمال الجوارح من الصلاة والصدقة بقوله سبحانه: ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (الأنفال: ٣)[(١)].

قال العلامة محمد رشيد رضا: إن إقامة الصلاة عبارة عن أدائها مقومة كاملة في صورتها وأركانها الظاهرة من قيام وركوع وسجود وقراءة وذكر، وفي معناها وروحها الباطنة من خشوع وحضور في مناجاة الرحمن وتدبر واتعاظ بتلاوة القرآن، وتقدم أن هذه الإقامة هي التي يستفيد صاحبها بها ما جعله الله تعالى ثمرة للصلاة من الانتهاء عن الفحشاء والمنكر وغير ذلك مما يراجع في مواضعه.

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾؛ أي ينفقون ما رزقهم الله في وجوه البر من زكاة مفروضة لإقامة دولة الإسلام وغير

---

(١) «محاسن التأويل» (٨/ ٩، ١٠).

ذلك من النفقات الواجبة والمندوبة للأقربين والمعوزين ومصالح الأمة[1].

قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الأنفال: ٤).

قال ابن كثير ما ملخصه: وقوله: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾؛ أي المتصفون بهذه الصفات هم المؤمنون حق الإيمان. وقال عمرو بن مرة في قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾؛ إنما أنزل القرآن بلسان العرب، كقولك فلان سيد حقًا وفي القوم سادة، وفلان تاجر حقًا وفي القوم تجار، وفلان شاعر حقًا وفي القوم شعراء.

وقوله: ﴿لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾؛ أي منازل ومقامات ودرجات في الجنة، كما قال تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٣).

---

(١) «تفسير المنار» (٩/ ٥٩٣، ٥٩٤).

﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾؛ أي يغفر لهم السيئات ويشكر لهم الحسنات، وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: **«إن أهل عليين ليراهم من أسفل منهم كما ترون الكوكب الغابر في أفق من آفاق السماء»**. قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا ينالها غيرهم، فقال: **«بلى، والذي نفسي بيده لرجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»**[(١)].

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أهل الجنة ليتراءون أهل الدرجات العلى كما ترون الكوكب الغابر في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما»**[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٣٦٨) بدء الخلق، ومسلم (١٧/ ١٦٩) صفة الجنة.

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٢٨٦).

ـ والحديث رواه البخاري (١١/ ٤١٦) الرقاق، و(٦/ ٣٢٠) بدء الخلق، ومسلم (١٧/ ١٦٨) الجنة وصفة نعيمها، والترمذي (١٠/ ٢١) صفة الجنة.

٣ ـ ومن صفاتهم قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (الحجرات: ١٥).

قال الزمخشري: المعنى أنهم آمنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه واعترفوا بأن الحق منه، فإن قلت: ما معنى (ثم) هاهنا وهي للتراخي وعدم الارتياب يجب أن يكون مقارنًا للإيمان لأنه وصف فيه، لما بينت من إفادة الإيمان معنى الثقة والطمأنينة التي حقيقتها التيقن وانتفاء الريب، قلت: الجواب على طريقين، **أحدهما:** أن من وجد منه الإيمان ربما اعترضه الشيطان أو بعض المضلين بعد ثلج الصدر فشككه وقذف في قلبه ما يثلم يقينه، أو نظر هو نظرًا غير سديد يسقط به على الشك ثم يستمر على ذلك راكبًا رأسه لا يطلب له مخرجًا، فوصف المؤمنون حقًا بالبعد عن هذه الموبقات، ونظيره قوله: ﴿ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾

والثاني: أن الإيقان وزوال الريب لما كان ملاك الإيمان أفرد بالذكر بعد تقدم الإيمان تنبيهًا على مكانه؛ وعطف على الإيمان بكلمة التراخي إشعارًا باستقراره في الأزمنة المتراخية المتطاولة غضًا جديدًا.

قوله: ﴿ **وَجَاهَدُوا** ﴾؛ يجوز أن يكون المجاهد معنويًا وهو العدو المحارب أو الشيطان أو الهوى. وأن يكون جاهد مبالغة في جهد، ويجوز أن يراد بالمجاهدة بالنفس: الغزو، وأن يتناول العبادات بأجمعها وبالمجاهدة بالمال نحو ما صنع عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة، وأن يتناول الزكوات وكل ما يتعلق بالمال من أعمال البر التي يتحامل فيها الرجل على ماله لوجه الله تعالى، ﴿ **أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾؛ الذي صدقوا في قولهم آمنًا ولم يكذبوا، كما كذب أعراب بني أسد، أو هم الذين إيمانهم إيمان صدق وإيمان حق وجدٍ وثبات[1].

---

(١) «الكشاف» للزمخشري (٤/ ٣٧٧، ٣٧٨).

٤ ـ ومن صفاتهم: موالاة المؤمنين وقيامهم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة:

قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٧١).

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: لما ذكر تعالى صفات المنافقين الذميمة عطف بذكر صفات المؤمنين المحمودة فقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾؛ أي يتناصرون ويتعاضدون كما جاء في الصحيح: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا، وشبك بين أصابعه»[(١)]. وفي الصحيح أيضًا: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل

---

(١) رواه البخاري (٥/ ١١٩) المظالم، ومسلم (١٦/ ١٤٩) البر والصلة.

الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»(١)، وقوله: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾، كقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (آل عمران: ١٠٤)، وقوله: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾؛ أي يطيعون الله ويحسنون إلى خلقه، و﴿وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾؛ أي فيما أمر وترك ما عنه زجر، ﴿أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾؛ من اتصف بهذه الصفات، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾؛ أي يعز من أطاعه؛ فإن العزة لله ولرسوله والمؤمنين، ﴿حَكِيمٌ﴾؛ في قسمته هذه الصفات لهؤلاء وتخصيصه المنافقين بصفاتهم المتقدمة فإن له الحكمة في جميع ما يفعله ـ تبارك وتعالى ـ(٢).

---

(١) رواه البخاري (١٠/ ٤٣٨) الأدب، ومسلم (١٦/ ١٤٠) البر والصلة.
(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٣٦٩).

٥ ـ ومن صفاتهم: ما وصفهم الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بقوله:

﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (التوبة: ١١٢).

قال القاسمي: ﴿ التَّائِبُونَ ﴾؛ أي عن المعاصي ورفعه على المدح، أي هم التائبون. كما دل عليه قراءة ﴿ التَّائِبِينَ ﴾؛ بالياء إلى قوله ﴿ وَالْحَافِظِينَ ﴾، نصبًا على المدح أو جرًا صفة للمؤمنين، وجوز أن يكون مبتدأ وخبره ما بعده أي التائبون من المعاصي حقيقة الجامعون لهذه الخصال. ﴿ الْعَابِدُونَ ﴾؛ أي الذين عبدوا الله وحده وأخلصوا له العبادة وحرصوا عليها. ﴿ الْحَامِدُونَ ﴾؛ لله على نعمائه أو على ما نابهم من السراء والضراء. ﴿ السَّائِحُونَ ﴾؛ أي الصائمون أوالضاربون في الأرض تدبرًا واعتبارًا.

﴿ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ ﴾؛ أي المصلون. ﴿ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ﴾؛ أي في تحليله

وتحريمه. ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ الموصوفين بالنعوت المذكورة، ووضع ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ موضع ضميرهم للتنبيه على أن ملاك الأمر هو الإيمان، وأن المؤمن الكامل من كان كذلك، وحذف المبشر به للتعظيم أو للعلم به، لقوله في آية الأحزاب: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً﴾ (الأحزاب: ٤٧)[١].

٦ ـ ومن صفاتهم: محبة حكم الله ـ عزَّ وجلَّ ـ والتسليم لشرعه:

قال تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥).

قال العلامة السعدي: فأقسم تعالى: أنَّهم لا يُؤمِنُون حَتَّى يُحكِّموا رسوله ﷺ، ولا يبقى في قلوبهم حرج وضيق من حكمه، وينقادوا له انقياداً، وينشرحوا لحكمه،

---

(١) «محاسن التأويل» (٨/ ٣٣٤).

وهذا شامل في تحكمه في أصول الدين وفي فروعه وفي الأحكام الكلية والأحكام الجزئية. اهـ.

وتعجب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ممن يزعم الإيمان ولا يتحاكم إلى شرعه ـ عزَّ وجلَّ ـ فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا﴾ (النساء: ٦٠)[١].

٧ ـ وقد جمع الله ـ عزوجلَّ ـ صفات المؤمنين في قوله تعالى:

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا

(١) «المجموعة الكاملة» لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (٣/ ٩٧).

وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٧).

قال الحافظ: ووجه الاستدلال بهذه الآية ومناسبتها لحديث الباب تظهر من الحديث الذي رواه عبد الرزاق وغيره من طريق مجاهد أن أبا ذر سأل النبي ﷺ عن الإيمان، فتلا عليه: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ﴾ إلى آخرها ورجاله ثقات، وإنما لم يسقه المصنف لأنه ليس على شرطه، ووجهه أن الآية حصرت التقوى على أصحاب هذه الصفات، والمراد المتقون من الشرك والأعمال السيئة فإذا فعلوا وتركوا فهم المؤمنون الكاملون[1].

٨ ـ ومن صفاتهم أنهم يحبون لإخوانهم ما يحبون لأنفسهم:

عن أنس عن النبي ﷺ قال: **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»**[2].

---

(١) «فتح الباري» (١/ ٦٦).
(٢) رواه البخاري (١/ ٧٣) الإيمان، ومسلم (٢/ ١٦، ١٧) الإيمان.

قال النووي: قال العلماء ـ رحمهم الله ـ: معناه لا يؤمن الإيمان التام، وإلا فأصل الإيمان يحصل لمن لم يكن بهذه الصفة، والمراد يحب لأخيه من الطاعات والأشياء المباحات، ويدل عليه ماجاء في رواية النسائي في هذا الحديث: «حتى يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه». قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: وهذا قد يُعَدُّ من الصعب الممتنع وليس كذلك، إذ معناه لا يكمل إيمان أحدكم حتى يحب لأخيه في الإسلام ما يحب لنفسه، والقيام بذلك يحصل بأن يحب له حصول مثل ذلك من جهة لا يزاحمه فيها بحيث لا تنقص النعمة على أخيه شيئًا من النعمة عليه، وذلك سهل على القلب السليم، وإنما يعسر على القلب الدغل ـ عافانا الله وإخواننا أجمعين ـ(١).

وقال الحافظ: قال الكرماني: ومن الإيمان أيضًا أن يبغض لأخيه ما يبغض لنفسه من الشر، ولم يذكره لأن

(١) «شرح النووي على صحيح مسلم» هامش (١/ ١٦، ١٧).

حب الشيء مستلزم لبغض نقيضه، فترك التنصيص عليه اكتفاء[١].

٩ ـ ومن صفات المؤمنين كاملي الإيمان شدة محبة النبي ﷺ:

حتى يكون أحبَّ إلى أحدهم من والده وولده والناس أجمعين، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين**»[٢].

قال الحافظ ما ملخصه: فإذا تأمل النفع الحاصل له من جهة الرسول ﷺ الذي أخرجه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان إما بالمباشرة وإما بالسبب، علم أنه سبب بقاء نفسه البقاء الأبدي في النعيم السرمدي، وعلم أن نفعه بذلك

---

(١) «فتح الباري» (١/ ٧٤).

(٢) رواه البخاري (١/ ٧٥) الإيمان، ومسلم (٢/ ١٥) الإيمان.

أعظم من جميع وجوه الانتفاعات، فاستحق لذلك أن يكون حظه من محبته أوفر من غيره، لأن النفع الذي يثير المحبة حاصل منه أكثر من غيره، ولكن الناس يتفاوتون في ذلك بحسب استحضار ذلك والغفلة عنه، ولاشك أن حظ الصحابة ﷺ من هذا المعنى أتم لأن هذا ثمرة المعرفة، وهم بها أعلم والله الموفق.

«**وقال القرطبي**: كل من آمن بالنبي ﷺ إيمانًا صحيحًا لا يخلو من وجدان تلك المحبة الراجحة، غير أنهم متفاوتون، فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأوفى ومنهم من أخذ منها بالحظ الأدنى، كما كان مستغرقًا في الشهوات، محجوبًا في الغفلات في أكثر الأوقات، لكن الكثير منهم إذا ذكر النبي ﷺ اشتاق إلى رؤيته بحيث يؤثرها على أهله وولده وماله ووالده، ويبذل نفسه في الأمور الخطيرة، ويجد مخبر ذلك من نفسه وجدانًا لا تردد فيه، وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره

ورؤية مواضع آثاره على جميع ما ذكر، لما وقر في قلوبهم من محبته، غير أن ذلك سريع الزوال بتوالي الغفلات، والله المستعان. انتهى ملخصًا[(١)].

١٠ ـ ومن صفات المؤمنين وعلامات صدقهم محبة أنصار رسول الله ﷺ:

عن أنس عن النبي ﷺ قال: **«آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار»**[(٢)].

قال الحافظ ما ملخصه: وخصوا بهذه المنقبة العظمى لما فازوا به دون غيرهم من القبائل من إيواء النبي ﷺ ومن معه، والقيام بأمرهم ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم وإيثارهم إياهم في كثير من الأمور على أنفسهم.

وإن كان من شاركهم في معنى ذلك مشاركًا لهم في الفضل المذكور كل بقسطه، وقد ثبت في صحيح مسلم عن

---

(١) «فتح الباري» (١/ ٧٦، ٧٧).

(٢) رواه البخاري (١/ ٨٠) الإيمان، ومسلم (٢/ ٦٣) الإيمان.

علي أن النبي ﷺ قال له: «**لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق**»(١).

وهذا جارٍ باطراد في أعيان الصحابة لتحقق مشترك الإكرام، لما لهم من سحن الغَنَاء في الدين(٢).

١١ ـ ومن صفاتهم الحياء:

عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله ﷺ مر على رجل من الأنصار ـ وهو يعظ أخاه في الحياء ـ فقال رسول الله ﷺ: «**دعه فإن الحياء من الإيمان**»(٣).

◆ وقال ﷺ: «**والحياء شعبة من الإيمان**»(٤).

قال الحافظ: وقال الحليمي: حقيقة الحياء خوف الذم بنسبة الشر إليه. وقال غيره: إن كان في محرم فهو

---

(١) رواه مسلم (١/ ٦٤) الإيمان، والنسائي (٨/ ١١٤) الإيمان، وابن ماجه (١٤٤)، والبغوي (١٤/ ١١٤) وقال: صحيح.

(٢) «فتح الباري» (١/ ٨١).

(٣) رواه البخاري (١/ ٩٣) الإيمان، ومسلم (٢/ ٦) الإيمان.

(٤) تقدم تخريجه (ص٢٦).

واجب، وإن كان في مكروه فهو مندوب، وإن كان في مباح فهو العرفي، وهو المراد بقوله: «**الحياء لا يأتي إلا بخير**»[١]. ويجمع كل ذلك أن المباح إنما هو ما يقع على وفق الشرع إثباتًا ونفيًا، وحُكي عن بعض السلف: رأيت المعاصي مذلة فتركتها مروءة فصارت ديانة. وقد يتولد الحياء من الله تعالى من التقلب في نعمه فيستحي العاقل أن يستعين بها على معصيته، وقد قال بعض السلف: خف الله على قدر قدرته عليك، واستح منه على قدر قربه منك، والله أعلم[٢].

١٢ ـ ومن صفات المؤمنين إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير:

عملاً بما رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن**

---

(١) رواه مسلم (٢/ ٦) الإيمان.

(٢) «فتح الباري» (١/ ٩٤) الإيمان.

بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[(١)] . قال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ: معنى الحديث أن من التزم شرائع الإسلام لزمه إكرام جاره وضيفه وبرهما، وكل ذلك تعريف بحق الجار وحث على حفظه، وقد أوصى الله تعالى بالإحسان إليه في كتابه العزيز، وقال ﷺ : **«ما زال جبريل عليه السلام يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»**[(٢)] . والضيافة من آداب الإسلام وخلق النبيين والصالحين، وقد أوجبها الليث ليلة واحدة واحتج بالحديث ليلة الضيف حق، واجب على كل مسلم. انتهى كلام القاضي ملخصاً.

وأما قوله ﷺ : **«فليقل خيراً أو ليصمت»** فمعناه: أنه إذا أراد أن يتكلم فإن كان ما يتكلم به خيراً محققاً يثاب عليه

---

(١) رواه البخاري (١٠/ ٤٤٥) الأدب، ومسلم (٢/ ١٨) الإيمان، وأبوداود (٥١٣٢) الأدب، وابن ماجه (٣٩٧١) الفتن.

(٢) رواه البخاري (١٠/ ٤٤٥) الأدب، ومسلم (١٦/ ١٧٦) البر والصلة، وأبو داود (٢٩٥١) الأدب، والترمذي (٨/ ١٢٣، ١٢٤) البر والصلة.

واجبًا أو مندوبًا فليتكلم، وإن لم يظهر له أنه خير يثاب عليه فليمسك عن الكلام سواء ظهر له أنه حرام أو مكروه أو مباح مستوي الطرفين[(١)].

١٣ ـ ومن صفاتهم ما ذكره يحيى بن معاذ في بعض رسائله:

فقال: أن يكون كثير الحياء قليل الأذى، كثير الخير قليل الفساد، صدوق اللسان قليل الكلام، كثير العمل قليل الزلل، قليل الفضول كثير البر للرحم، وصولاً وقورًا شكورًا، كثير الرضا عن الله إذا ضيق عليه الرزق، حليمًا رفيقًا بإخوانه، عفيفًا شفوقًا، لا لعانًا ولا سبابًا ولاعيابًا ولا مغتابًا ولا نمَّامًا ولا عجولاً ولا حسودًا ولا حقودًا ولا متكبرًا ولا معجبًا، ولا راغبًا في الدنيا، ولا طويل الأمل ولا كثير النوم والغفلة، ولا مرائيًا ولا منافقًا ولا بخيلاً،

(١) «شرح النووي على صحيح مسلم» هامش (٢/ ١٨، ١٩).

هشاشًا بشاشًا، لا خساسًا ولا جساسًا، يحب في الله ويرضى في الله ويغضب لله، زاده تقواه، وهمته عقباه وجليسه ذكراه، وحبيبه مولاه، وسعيه لأخراه.

وكان الفضيل بن عياض - رحمه الله تعالى - يقول: «المؤمن يزرع نخلاً ويخاف أن يثمر شوكًا، والمنافق يزرع شوكًا ويطلب أن يثمر رطبًا»[(١)].

---

(١) «من أخلاق السلف» (٣٨، ٣٩) للعبد الفقير.

ثمرات الشجرة المباركة
شجرة الإيمان

فمهما كانت الأرض طيبة، والبذرة صالحة، وتم تعهد الزرع من خدمة وري وحفظ من الآفات نما الزرع وكمل، وأخرج الثمرات اليانعة بإذن ربه، وليست هناك أرض أطيب من قلب المؤمن، وليس هناك بذرة أطيب من كلمة التوحيد. فإذا تم التعهد بالعمل النافع والعمل الصالح أينعت البذرة، فخرجت أصولها وجذورها ممتدة في أرض قلب المؤمن، **وجذور هذه الشجرة هي أصول الإيمان الستة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره**.

وساق الشجرة المباركة الإخلاص والمتابعة، حتى تكون الشجرة أطيب شجرة، وحتي تكون الثمار أطيب الثمار وألذها، فما يزال العبد المؤمن المتبع للسنة يغذي إيمانه،

ويزداد يقينه، فتزداد الشجرة رسوخًا في قلبه فلا تزحزحها رياح الشبهات والشهوات، وتخرج ساقها تسر الناظرين عالية في السماء وارفة الظلال طيبة الثمار، ومن بركة الشجرة أنها تثمر كل حين بإذن ربها، فأشجار الدنيا يظل أصحابها يخدمونها ويتعهدونها طوال العام حتى تثمر مرة واحدة، ولكن هذه الشجرة المباركة تثمر الثمرات الكثيرة المتنوعة كل حين، فلا يكاد يمضي على المؤمن زمن قليل حتى يجني ثمرة من ثمرات الإيمان.

وتبلغ الثمرة كمالها ونضجها، إذا كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وصار العبد يحب لله ويبغض لله، وصار يكره العودة إلى الكفر كما يكره أن يقذف في النار، ولا يذوق طعم الثمرة إلا من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً.

وإذا فقد العبد حلاوة الإيمان بعد أن تذوقها لا تعوضه جميع لذات الدنيا وشهواتها، ومن ذاق عرف ومن حرم انحرف.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا حلاوة الإيمان، وأن يمتعنا به حتى يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفرطين . . **وهذه بعض ثمرات الشجرة الطيبة الواحدة منها خير من الدنيا وما فيها:**

١ ـ فمن ثمرات الشجرة المباركة شجرة الإيمان: أن أهلها يغتبطون بولاية الله ـ عزَّ وجلَّ ـ:

كما قال تعالى: ﴿ **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ** ﴾ (البقرة: ٢٥٧).

فأصحاب هذه الشجرة الله ناصرهم ومعينهم، هو الذي يخرجهم من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن ظلمات الريب والشكوك إلى نور اليقين، ومن ظلمات الرياء إلى نور الإخلاص، ومن ظلمات البدع والضلالات إلى نور الحق والسنة. وقال تعالى: ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** ﴾ (يونس: ٦٢-٦٣)، وقال تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (آل عمران: ٦٨).

فالمؤمنون تولوا ربهم بالمحبة والنصرة، والله ـ عزَّ وجلَّ ـ تولاهم بالتأييد والتسديد، وإجابة دعوتهم وتفريج كربتهم ونصره لهم على عدوه وعدوهم.

٢ ـ ومن ثمرات الإيمان: الحياة الطيبة:

كما قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: ٩٧).

فلا يمكن أن يحيا العبد حياة طيبة إلا وهو متمتع بنعمة الإيمان والعمل الصالح، فمهما اجتهد العبد في الأعمال الصالحة وكان فاقد الإيمان فلا يمكن أن يحيا الحياة الطيبة، ومهما ملك العبد من أعراض الدنيا وشهواتها ولكنه بعيد عن الإيمان فلا يمكن أن يحيا حياة طيبة، والناس كلهم يطمعون في هذه الحياة الطيبة فهي سعادة الدنيا التي ينشدونها، ولكنهم ضلوا الطريق إليها فظنوا أن طريقها هو جمع المال الذي يحصلون به السعادة، فيبذلون أعمارهم في

طلب المال والاستكثار منه فيشقون بجمعه والحرص عليه ومنع حق الله فيهم ثم يعذبون به في الآخرة.

قال تعالى: ﴿ فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (التوبة: ٥٥)، وكلما ازداد إيمان العبد كلما سعد في الدنيا قبل الآخرة، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (الرعد: ٢٨).

قال شيخ الإسلام - رحمه الله -: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة.

وقال ابن القيم - رحمه الله - واصفًا شيخه شيخ الإسلام: وعلم الله، ما رأيت أحدًا أطيب عيشًا منه قط مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم، بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشًا وأشرحهم صدرًا وأقواهم قلبًا، وأسرِّهم، تلوح نضرة النعيم على وجهه.

وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله عنا، وينقلب انشراحًا وقوة ويقينًا وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها»[1].

فالله ـ عزَّ وجلَّ ـ شرع لنا الشرع المتين من أجل أن تسعد دنيانا وآخرتنا، ومن أعرض عن شرع الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أو فقد الإيمان بالله ـ عزَّ وجلَّ ـ كان أشقى الناس في الدنيا قبل الآخرة.

فأكثر الناس يظنون أن الشرع عبارة عن قيود لحريات العباد، يكدر عليهم حياتهم، وينغص عليهم سعادتهم، وأنهم لا يمكن أن يسعدوا حتى ينسلخوا من الدين، ويفارقوا الإيمان بالله العظيم، فأسمعهم وهم يقولون:

---

(١) «الوابل الصيب» (٩٦-٩٨) بتحقيق بشير محمد عيون ـ دار البيان.

«ساعةٌ لربك وساعة لقلبك» فهم يظنون أن الساعة التي لله ـ عزَّ وجلَّ ـ يتكدر عليهم سرورهم فيحتاجون إلى ساعة يُسعدون بها قلوبهم، وهذا الكلام فاسد مخالف للشرع، والأمر كما قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢-١٦٣)، فالعبد ملك لسيده ماله ووقته وجهده وقلبه، ولا سعادة له إلا بالإيمان، فالقلب لا يسعد إلا بالله، ففي القلب فقرٌ وحَاجَةٌ وخلةٌ لا يسدها إلا الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، فمهما جمع قلبه على الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وجد السعادة المنشودة، ومهما أعرض عن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لحقه البؤس والشقاء.

فكلما كمل الإيمان كملت السعادة، وإذا نقص الإيمان نقصت السعادة، وإذا نقص الإيمان نقصت السعادة، والقلب على كل حال يأسر الإيمان، ويسهل على العبد أن تخرج روحه من بدنه ولا يخرج الإيمان من قلبه، ولما سأل هرقل أبا سفيان بن حرب في مدة هدنة النبي ﷺ مع قريش:

«أيرتد أحدٌ منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه؟»، قال: «**لا**». قال: «**وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب**»(١).

وللعبد شاهد من نفسه فكلنا فعل الطاعة وفعل المعصية، فكم أطعنا الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فوجدنا سعادة في القلوب، وفرحًا بالله ـ عزَّ وجلَّ ـ وأُنسًا به وجمعية عليه، وكم عصينا الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فوجدنا الضنك والشقاء والهم الغمَّ والحزن والوحشة بين العبد وبين ربه، وبينه وبين عباد الله الصالحين؟ لو حصلت لنا الدنيا بحذافيرها لم تعوضنا هذه الوحشة.

قال ـ عزَّ وجلَّ ـ واصفًا حال الثلاثة الذي خُلِّفُوا: ﴿حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ (التوبة:١١٨)، فهؤلاء ما سفكوا دمًا حرامًا، ولا أكلوا مالاً حرامًا، فكيف يكون حال العصاة الذين يستمرون على الذنوب ثم لا يقصرون، فنسأل الله تعالى أن يمتعنا بالإيمان.

---

(١) رواه البخاري (١/ ٤٢، ٤٣) بدء الوحي.

٣ ـ ومن ثمرات الإيمان: محبة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ومحبة المؤمنين:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ (مريم: ٩٦).

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: يخبر تعالى أنه يغرس لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات وهي الأعمال التي ترضي الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لمتابعتها الشريعة المحمدية يغرس لهم في قلوب عباده محبة ومودة وهذا أمر لابد منه ولامحيد عنه[1].

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا أحبَّ الله العبد قال لجبريل: قد أحببت فلانًا فأحبه فيحبه جبريل عليه السلام، ثم ينادي في أهل السماء إن الله قد أحبَّ فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»[1].

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ١٩٣، ١٤٠) دار المعرفة.

(٢) رواه مسلم (١٦/ ١٨٣، ١٨٤) البر والصلة، والبخاري (١٠/ ٤٦١) الأدب، ومالك في «الموطأ» (٢/ ٩٥٣)

٤ ـ ومن ثمرات الإيمان: دفاع الله ـ عزَّ وجلَّ ـ عن المؤمنين:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (الحج: ٣٨).

قال الرازي: ذكر ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ولم يذكر ما يدفعه حتى يكون أفخم وأعظم وأعم، وإن كان في الحقيقة أنه يدافع بأس المشركين، فلذلك قال بعده: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾، فنبه بذلك على أنه يدفع عن المؤمنين كيد من هذا صفته.

وقال كذلك: هذه بشارة للمؤمنين بإعلائهم على الكفار وكف بوائقهم عنهم، وهي كقوله: ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى ﴾ (آل عمران: ١١١)، وقوله: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (غافر: ٥١)، وقال: ﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴾ (الصافات: ١٧٢)، ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ (الصف: ١٣)[1].

(١) «التفسير الكبير» (٢٣/ ٣٤).

٥ ـ ومن ثمرات الإيمان: البشرى في الدنيا والآخرة:

قال الله تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ (يونس: ٦٢-٦٤).

وقال تعالى في أربع آيات من كتابه: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٣، التوبة: ١١٢، يونس: ٨٧، الصف: ١٣).

وأطلق البشرى في هذه الآيات الكريمات للإخبار بأنهم يبشرون بكل خير في الدنيا والآخرة، كما دلت الأدلة الأخرى على أنهم يبشرون في الدنيا، وعند خروج أرواحهم، ويبشرون وهم في قبورهم، ويبشرون في عرصات القيامة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لم يبق من النبوة إلا المبشرات**»، قالوا: وما المبشرات؟، قال: «**الرؤيا الصالحة**»[(١)].

(١) رواه البخاري (١٢/ ٣٧٥) التعبير، والترمذي (٩/ ١٢٦) أبواب الرؤيا عن أنس.

وقال ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾: **«هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أوترى له»**[(١)].

فمن مبشرات المؤمنين في الدنيا الرؤيا الصالحة، ومن مبشراتهم في الدنيا كذلك ثناء الخلق ومحبة الخلق، كما قيل للنبي ﷺ: الرجل يعمل العمل لا يريد به إلا وجه الله فيحبه الخلق ـ أو فيثني عليه الخلق ـ قال: **«تلك عاجل بشرى المؤمنين»**[(٢)]، ولذلك علماء أهل السنة هم أوفر الناس نصيبًا من هذه البشرى، وهذا يدل على أنهم أسعد الناس حالاً في الآخرة.

---

(١) رواه الترمذي (٩/ ١٢٧، ١٢٨) أبواب الرؤيا، وقال: هذا حديث حسن، وابن ماجه (٣٨٩٨) تعبير الرؤيا، ورواه مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٥٨) الرؤيا، والحاكم (٤/ ٣٩١) الرؤيا، وصححه ووافقه الذهبي والألباني.

(٢) رواه مسلم (١٦/ ١٨٩) البر والصلة عن أبي ذر، قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه، قال: **«تلك عاجل بشرى المؤمن»** وفي رواية عند مسلم كذلك: **«ويحبه الناس»**.

والمؤمن يبشر أحوج ما يكون إلى البشرى يبشر وهو مفارق دار العمل ولا حساب إلى دار الحساب ولا عمل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ (فصلت: ٣٠-٣٢).

فلا تخرج روح المؤمن من جسده حتى تبشر برحمة الله وكرامته، ولا تخرج روح الكافر والفاجر حتى تبشر بسخط الله وعذابه، وقد ثبت في السنة أن روح المؤمن تطير فوق جنازته وتقول: قدموني قدموني، تشتاق إلى الجنة والرحمة، وتقول روح الكافر والفاجر: يا ويلها أين تذهبون بها[1].

---

(١) الحديث: «إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت: قدموني قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها أين يذهبون بها!؟ يسمع صوتها كل شيءٍ إلا الإنسان، ولو سمعه لصعق».
- رواه البخاري (٣/ ٢١٧) الجنائز، والنسائي (٤/ ٤١) الجنائز، وأحمد (٣/ ٤١، ٥٨).

فإذا صار المؤمن في قبره، وقبره روضة من رياض الجنة أُلبس من ثياب الجنة، وفرش قبره بفراش الجنة، وفتح له باب إلى الجنة يأتيه من ريحها وطيبها، وعرض عليه مقعده في الجنة، عند ذلك لا يصبر على ما هو فيه مع أنه في روضة من رياض الجنة إلا أن النعيم الذي ينتظره والذي قد بشر به أعظم من النعيم الذي هو فيه فيشتاق إلى النعيم الأكبر فيقول: رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي. حيث يقول الكافر والفاجر الذي ألبس من النار، وفرش قبره من النار، وفتح له باب إلى النار يأتيه من سمومها وحرها: رب لا تقم الساعة رب لا تقم الساعة، فمع أنه في عذاب وشقاء إلا أن العذاب الذي ينتظره أكبر من العذاب الذي هو فيه فيشفق من العذاب الأكبر، نعوذ بالله من هذه الحال[1].

---

(١) حديث البراء بن عازب المشهور في عذاب القبر ونعيمه، رواه أبو داود (٣١٩٦) مختصرًا، والحاكم (١/ ٣٧، ٣٨) الإيمان وقال: صحيح على شرط الشيخين، وأحمد (٤/ ٢٨٧، ٢٨٨)، وصححه الألباني على شرط الشيخين.

فإذا بعث الناس من قبورهم كانت المبشرات للمؤمنين أكبر وأتم، فمن ذلك بياض وجوههم، ومن ذلك أنهم يعطون كتابهم بأيمانهم، ومن ذلك نورهم الذي يسعى بين أيديهم بقدر إيمانهم وعملهم الصالح.

ومن ذلك تبشير الملائكة لهم، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (الحديد: ١٢)، ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٣)، فإذا دخلوا الجنة دخلت الملائكة عليهم من كل باب تبشرهم بالخلود في الجنة لأنهم لا يتحملون أن يفارقوا النعيم الذي وصلوا إليه برحمة الله وكرامته؛ ﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد: ٢٣-٢٤).

فهذه بعض مبشرات المؤمنين نسأل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أن يجعلنا منهم بفضله وكرمه.

٦ ـ ومن ثمرات الإيمان: أعظم تسلية للمؤمنين عند المصائب:

فالمؤمن إذا ابتلي بمصيبة يعلم أن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ هو الذي قدرها له. وأنه ـ عزَّ وجلَّ ـ له حكمة في قضائه وقدره، فيرضى العب ويسلم، كما قال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ (التغابن: ١١).

قال بعض السلف: هي المصيبة تصيب العبد، فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم.

المؤمن إذا ابتلي ببلاء يعلم أن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ قد ابتلاه ليرى صبره، وقد قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر: ١٠). ذكر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ المؤمنين بما يرجونه من ثواب الله عند مصيبتهم، فقال تعالى: ﴿ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ ﴾ (النساء: ١٠٤).

هذا يعقوب عليه السلام كان لا يستطيع أن يفارق ولده يوسف وكان يرى فيه من الجمال والبهاء والذكاء ما يرجو أن يمن الله عليه بالنبوة، ولما استأذنه إخوة يوسف في أن يذهبوا به

يرتع ويلعب، قال: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ﴾ (يوسف:١٣)، فاعتذر أولاً بأنه لا يستطيع أن يفارقه، ثم اعتذر ثانيًا بقوله: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾، فكيف صبر يعقوب عليه السلام على فراق ولده هذه الأزمنة المتطاولة وقال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف:١٨)، لولا أنه تسلى بإيمانه.

وكذلك أم موسى عندما ألقت ولدها في اليم وكانت تخاف عليه من فرعون، وأصبح فؤاد أم موسى فارغًا إلا من ذكر موسى، لولا أن الله ربط على قلبها لتكون من المؤمنين، فلاشك أن من ثمرات الشجرة الطيبة شجرة الإيمان التسلية عند المصائب.

٧ ـ ومن ثمرات الإيمان: أن المؤمنين يهرعون إلى الإيمان ويلجأون إليه في كل ما يعتريهم من خير وشر وطاعة ومعصية ويسر وعسر:

فإذا خُوِّفوا لجأوا إلى الإيمان واعتصموا به.

وإذا فعلوا طاعة لجأوا إلى الإيمان.

وإذا فعلوا معصية لجأوا إلى الإيمان.

وإذا أنعم الله عليهم بالنعم لجأوا إلى الإيمان.

وإذا نزلت بهم المصائب لجأوا إلى الإيمان.

إذا خوفوا من كيد أعدائهم لجأوا إلى إيمانهم واعتصموا به، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران: ١٧٣)، وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٢٢).

وإذا فعلوا طاعة لجأوا إلى الإيمان فعلموا أن الله - عزَّ وجلَّ - هو الذي وفقهم إليها، وأعانهم عليها:

إِذَا لَم يَكُن مِنَ الله عَونٌ لِلفَتَى

فَأَوَّلُ مَا يَجنِي عَلَيهِ اجتِهَادُهُ

فالله - عزَّ وجلَّ - هو الأول والآخر والظاهر والباطن، فمن أوليته - عزَّ وجلَّ - أنه يلهم العباد التوبة وييسرها لهم ويتوب عليهم ليتوبوا، ومن أوليته أنه يلهم العبد الدعاء

ويفتح عليه باب المسألة حتى يدعو العبد، ومن أوليته أنه يوفقه للعمل الصالح وييسر له أسبابه.

وإذا وقعوا في معصية لجأوا إلى الإيمان، فعلموا بمقتضى إيمانهم أنهم وقعوا فيما يسخط الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، وأن عليهم أن يبادروا بالتوبة، وأن يكثروا من الحسنات الماحية التي تنجيهم من عقاب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (٢٠١) وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٠١-٢٠٢).

فأهل الإيمان يحدثون لكل ذنب توبة، وإخوان الشياطين يتبعون المعصية المعصية، فلا يتوبون إلى الله ولا يرجعون إليه، بل يستمرون على المعصية، نسأل الله العافية.

وإذا أنعم الله ـ عزَّ وجلَّ ـ عليهم بنعمة لجأوا إلى الإيمان فعرفوا قدر النعمة وعرفوا المنعم ـ عزَّ وجلَّ ـ، وقاموا بواجب الشكر لهذه النعمة، قال تعالى: ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ (سبأ: ١٣).

وإذا نزلت بهم مصيبة لجأوا إلى الإيمان فعلموا أنها بقدر فسلموا لقدر الله، وقاموا بواجب الصبر، قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ (البقرة: ١٥٥-١٥٧).

٨ ـ ومن ثمرات الشجرة المباركة شجرة الإيمان: *الأمن والاطمئنان:*

قال تعالى حاكيًا عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾

(الأنعام: ٨١-٨٢).

قال الأستاذ محمد بن سعد الشويعر ما ملخصه: نفسٌ لا إيمان فيها تبقى مضطربة وقلقة وتائهة وخائفة. فأما اضطرابها فلأنها كالسفينة التي تتقاذفها الرياح في البحر، فتموج بها تقلبات الجو يمينًا وشمالاً، وتتقاذفها العوامل

المؤثرة التي تطغى عليها، فهي لم تجد ما يرسيها أو يوصلها لبر الأمان، لأن كل نفس تأخذ مصدراً تشريعيًا في سلوكها أو منهجًا عقديًا في تصرفاتها غير المصدر الذي أوجده الله للمؤمنين، وارتضاه سبحانه لعباده، وبعث به رسله، فإنه لا يلبي رغبة ولا يريح نفسًا ولا يحقق هدفًا.

والمصدر الذي ارتضاه الله هو كتابه القويم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حكيم، ثم ما بلغ به المصطفى من وحي عن ربه، أو أوضحه من شرع لصالح الأمة وإنقاذهم من الضلالة، مِمَّا يعالج ما يختلج في النفوس ويؤرق الضمائر .. وبهذين المصدرين تسكن النفس من اضطرابها، وترتاح في مسيرتها، وتطمئن على حاضر أمرها ومستقبله.

أما كونها قلقة: فإن من الغرائز التي أودعها الله في النفوس حب استجلاء المستقبل والتخوف من العواقب، ولكي تسير في اتجاهها، تلجأ يمينًا وشمالاً للبحث عما يحقق قبسًا من أملها أو راحة من ضمير، ولا يمحو هذا

القلق والحيرة من النفوس إلا يقين يزيل دواعي هذا القلق ويقضي على مسبباته، والإيمان بالقدر خيره وشره، واليقين بأن ما قدره الله كائن لا محالة، والرضا بما قسم الله من أقوى دعائم هذا اليقين، كما في حديث ابن عباس.

وأما كونها تائهة: فإن من يسير بغير هدى أو معرفة لشرع الله الذي شرع لعباده. فإنه كالمسافر في طريق لا يعرف اتجاهه، وطرق المسالك في العبادة والعقيدة كالطرق الموصلة من مكان لمكان، فالذي يأخذ المعروف منها بعلاماته وإرشاداته فإنه قد سلك الآمن الموصل، أما غيره من الطرق فإنها تؤدي للضياع والاضطراب النفسي، وتدعو للخوف على النفس من المخاطر العديدة، وعلى المال والممتلكات، ألم يقل سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام:١٥٣)[١].

---

(١) «مجلة البحوث الإسلامية» العدد السابع عشر، بحث «أثر الإيمان في إشاعة الاطمئنان» بقلم الدكتور: محمد بن سعد الشويعر (ص١٥٧، ١٥٨).

فلا سبيل إلى أمن الأفراد والمجتمعات إلا بالإيمان بالله - عزَّ وجلَّ - والخضوع لشرعه، فالمؤمن دائمًا في أمان واطمئنان، لأنه يسلم أمره لله ويرضى بقضائه ويخضع لشرعه، ويطمع في ثوابه، وفاقد الإيمان كيف يطمئن وهو لا يؤمن بالله العظيم الذي يملك مقادير كل شيءٍ، وهو متخوف على نفسه وماله، وإذا أصيب بالمصائب لا يحتسبها، ولا يرجو عند الله ثوابها، فهو في خوف واضطراب وشقاء وعذاب، و﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (الأنعام: ٨٢).

٩ - ومن ثمرات الإيمان: *الانتفاع بالمواعظ والتذكير والآيات:*

قال الله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الذاريات: ٥٥)، وقال: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا

وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (التوبة: ١٢٤-١٢٥)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الحجر: ٧٧، العنكبوت: ٤٤).

قال العلامة السعدي ـ عليه رحمة ربنا العلي ـ: وهذا لأن الإيمان يحمل صاحبه على التزام الحق وابتاعه علمًا وعملاً، وكذلك معه الآلة العظيمة، والاستعداد لتلقي المواعظ النافعة والآيات الدالة على الحق، وليس عنده مانع يمنعه من قبول الحق، ولا من العمل به.

وأيضًا فالإيمان يوجب سلامة الفطرة وحسن القصد، ومن كان كذلك انتفع بالآيات. ومن لم يكن كذلك: فلا يستغرب عدم قبوله للحق واتباعه له. ولهذا يذكر الله ـ في سياق تمنع الكافرين من تصديق الرسول وقبول الحق الذي جاء به ـ السبب الذي أوجب لهم ذلك، وهو الكفر الذي في قلوبهم. يعني: لأن الحق واضح وآياته بينة واضحة، والكفر أعظم مانع يمنع من اتباعه، أي فلا تستغربوا هذه الحالة فإنها لم تزل دأب كل كافر(١).

(١) «المجموعة الكاملة» لمؤلفات الشيخ (٣/ ١٣١، ١٣٢) عقيدة.

وقد بين الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في آياتٍ أخر السبب في عدم انتفاع الكافرين بآيات الله، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا (٤٥) وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ (الإسراء: ٤٥-٤٦).

١٠ ـ ومن ثمرات الإيمان: معية الله ـ عزَّ وجلَّ ـ للمؤمنين:

قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: ١٩)، وهي المعية الخاصة، معية التأييد والتسديد والنصرة. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ (النحل: ١٢٨)، وقال تعالى: ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: ٤٠)، وقال تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ (طه: ٤٦).

وهذه المعية تستوجب من العبد التقوى بالله ـ عزَّ وجلَّ ـ، والتعزز به والاعتماد عليه والأنس به والرضا به ـ عزَّ وجلَّ ـ.

أرسل أحد السلف إلى أخيه يقول له: أما بعد فإن كان الله معك فمن تخاف، وإذا كان عليك فمن ترجو.

ومن كان الله معه فمعه الحارس الذي لا ينام، والقويُّ الذي لا يُهزم، والقاهر الذي لا يُغلب، والجزاء من جنس العمل، فلما كان المؤمن مع ربه ـ عزَّ وجلَّ ـ بالطاعة والالتزام والعمل بشرعه، كان الله معه يؤيده وينصره ويجيب دعوته ويفرج كربته.

١١ ـ ومن ثمرات الإيمان: حفظ المؤمن من الوقوع في الفواحش:

فإن من الإيمان محبة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، ومن الإيمان الحياء من الله، ومن الإيمان الخوف من الله، وكل ذلك يحول بين المؤمن وبين الوقوع فيما يسخط الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، قال النبي ﷺ: «لا يَزنِي الزَّاني حِينَ يَزنِي وَهُوَ مُؤمِنٌ، ولا يسرِق السَارِق حِينَ يَسرِق وَهُوَ مؤمِن»[(١)].

(١) رواه البخاري (١٠/ ٣٣) الأشربة، ومسلم (٢/ ٤١) الإيمان.
ـ وللحديث طرق كثيرة، انظر: «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» (١/ رقم١٨٦). وقال النووي: هذا الحديث مما اختلف العلماء في معناه، فالقول الصحيح الذي قاله المحققون: أن معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان، وهذا من الألفاظ التي تطلق على =

فمن وقع في مثل هذه الفواحش والكبائر ـ والعياذ بالله ـ لابد أنه أوتي من قبل إيمانه، ولو كانت شجرة الإيمان ثابتة في قلبه ورافة الظلال كثيرة الثمار لمنعته من الوقوع في هذه الفواحش، فالمؤمن غير معصوم من المعاصي ولكنه قد يقارف الصغائر ثم يتوب إلى الله ولا يستمر على معصيته ويحول الإيمان بينه وبين الكبائر؛ قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (يوسف: ٢٤).

فالله ـ عزَّ وجلَّ ـ يحول بين المؤمن وبين المعصية، ومن أعظم الأسباب لذلك الإخلاص لدين الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، فمن علم الله عزَّ وجلَّ ـ منه الإخلاص حفظه من المعاصي والشرور التي توجب دخول النار، كما أن من أعرض عن الإيمان حال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بينه وبينه إذا أراده بعد ذلك

= نفي الشيء ويراد نفي كماله ومختاره، كما يقال: لا علم إلا ما نفع، ولا مال إلا الإبل، ولا عيش إلا عيش الآخرة «شرح النووي» هامش (٤١/٢).

عقوبة له على إعراضه، كما قال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (الأنعام: ١١٠).

وحذرنا الله ـ عزَّ وجلَّ ـ من عدم الاستجابة لله ـ عزَّ وجلَّ ـ وللرسول ﷺ خشية أن يحال بعد ذلك بين العبد وبين إرادة الهداية، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (الأنفال: ٢٤).

فمن ثمرات الإيمان أن يحفظ الله العبد من الفواحش، وجزاء الإعراض عن الإيمان أول مرة أن يحال بين العبد وقلبه إذا أراد الإيمان مرة ثانية.

فمن قارف الكبيرة التي توعد عليها الشرع أعظم توعد لابد أنه في وقت المعصية كان ضعيف الإيمان جداً، بحيث إنه لا يرى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، ولا يرى عقابه، ولابد أنه كذلك قد غاب عقله، وإلا فكيف يؤثر لذة لحظات يشقى

بها أعظم الشقاء، إن لم يتداركه الله برحمته، فنسأل الله أن يبارك في شجرة الإيمان في قلوبنا حتى يحفظنا من المعاصي التي توجب سخطه وعذابه.

١٢ ـ ومن ثمرات الإيمان: *أن أمر المؤمن كله له خير*:

قال النبي ﷺ: **«عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر وكان خَيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»**(١).

قال المناوي: قال الطيبي: أصله اعجب عجبًا فعدل عن الرفع إلى النصب للثبات كقولك سلام عليك: **«لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن»**، وليس ذلك للكافرين ولا للمنافقين، ثم بين وجه العجب بقوله: **«إن أصابته سراء»** كصحة وسلامة ومالٍ وجاهٍ، **«شكر»** الله على

(١) رواه مسلم (١٨/ ١٢٥) الزهد، وأحمد (٦/ ١٦)، والدارمي (٢/ ٣١٨) الرقاق.
ـ وانظر طرق الحديث في «الصحيحة» رقم (١٤٧).

ما أعطاه، **«وكان خيرًا له»** فإنه يكتب في ديوان الشاكرين، **«وإن أصابته ضراء»** كمصيبة **«صبر فكان خيرًا له»** فإنه يصير من أحزاب الصابرين الذين أثنى الله عليهم في كتابه المبين، فالعبد مادام قلم التكليف جاريًا عليه فمناهج الخير مفتوحة بين يديه، فإنه بين نعمة يجب عليه شكر المنعم بها، ومصيبة يجب عليه الصبر عليها، وأمر ينفذه ونهي يجتنبه، وذلك لازم له إلى الممات[١].

فالمؤمن دائمًا راضي النفس، مطمئن القلب على كل حال، لأنه يعرف الواجب عليه في السراء والضراء، وهو رابح على كل حال عند النعمة وعند البلاء، فهو في النعمة شاكرٌ، وعند البلاء صابر.

---

(١) «فيض القدير» (٤/ ٣٠٢).

١٣ ـ ومن ثمرات النور الذي يجعله الله لأهله فيميزون بهذا النور بين الحق والباطل والهدى والضلال والبدعة والسنة:

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ (الأنعام: ١٢٢)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحديد: ٢٢)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الأنفال: ٢٩).

وقد فسر العلماء هذا الفرقان بالنور الذي يجعله الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في قلب المؤمن، يفرق به بين الحق والباطل والبدعة والسنة والهدى والضلال، فالمؤمن حي القلب مستنيره، والكافر ميت القلب مظلمه، وذلك لأن المؤمن آمن بالشرع، والشرع هو الروح وهو النور، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا

الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: ٥٢)، فمن استجاب للشرع أحيا الله قلبه وأضاءه بنور الإيمان، وهذا النور يضيء للمؤمن الطريق، ومن المؤمنين من يحسن حمل هذا النور فيضيء لغيره ويهديه هداية الإرشاد والبيان، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: ٥٢).

والذي استضاءوا بنور الوحي في الدنيا يصير هذا النور يوم القيامة نوراً حسياً ظاهراً يراه المؤمن والمنافق، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ...﴾ (الحديد: ١٢-١٣)، والذين حرموا هذا النور وصاروا يتخبطون في الظلمات، فإنهم يحرمون النور في الآخرة: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ (النور: ٤٠).

١٤ ـ ومن ثمرات الإيمان إنجاء الله ـ عزَّ وجلَّ ـ للمؤمنين في الدنيا والآخرة:

قال الله تعالى: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنبياء: ٨٨).

فبعد أن ذكر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ إنجاءه ليونس عليه السلام من الكرب والغم، أخبر أن هذه عادته ـ عزَّ وجلَّ ـ مع أوليائه المؤمنين، وليست معاملة خاصة لنبيه الكريم.

وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ (فصلت: ١٧-١٨)، وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (الأعراف: ١٦٥).

والنهي عن المنكر من الإيمان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ومن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[١].

---

(١) رواه مسلم (٢/ ٢٢، ٢٥) الإيمان، والترمذي (٩/ ١٨، ١٩) الفتن، وأبو داو (١١٢٨) صلاة العيدين، والنسائي (٨/ ١١١، ١١٢) الإيمان، وابن ماجه (٤٠١٣) الفتن. وتقدم تخريجه (ص ٢٩).

وأما إنجاء المؤمنين في الآخرة فظاهر لا يحتاج إلى دليل، ويشير إليه قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (الزمر: ٦١).

١٥ ـ ومن ثمرات الإيمان العزة التي جعلها الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لعباده المؤمنين:

كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (المنافقون: ٨)، وقال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ (فاطر: ١٠).

وكان الإمام أحمد يدعو: اللهم أعزنا بطاعتك ولا تذلنا بمعصيتك، فليس هناك مصدر للعزة إلا الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، وليس هناك سبيل إلى حصولها غير الإيمان والعمل الصالح.

فإن الله هو العزيز، ومن أراد العزة فليطع العزيز، فمن فقد الإيمان بالله ـ عزَّ وجلَّ ـ، وطاعة الرسول ﷺ فهو

ذليل كما قال ﷺ: **«وَجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري»**(١).

وقال الحسن البصري: إنهم وإن طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين إن ذل المعصية لفي رقابهم أبي الله إلا أن يذل من عصاه. فالكافر ذليل، والمبتدع ذليل، والمنافق ذليل، والعاصي ذليل، كل بحسبه، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

قال الرازي: قال بعض العارفين: العزة غير الكبر، ولا يحل للمؤمن أن يذل نفسه، فالعزة معرفة الإنسان بحقيقة

---

(١) رواه البخاري تعليقًا عن ابن عمر عن النبي ﷺ: **«جعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار من خالف أمري»** (٦/ ١١٥) الجهاد، بصيغة تمريض «ويُذكَر»، ورواه أحمد بزيادة: **«بعثت بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له»** (٢/ ٥٠) «المسند»، ورواه ابن أبي شيبة (٥/ ٣١٣) الجهاد. وقال الحافظ في «تغليق التعليق»: وله شاهد بإسناد حسن لكنه مرسل (٣/ ٤٤٥، ٤٤٦) وانظر: شرح الحافظ ابن رجب للحديث في الحكم الجديرة بالإذاعة.

- والحديث صححه الألباني في «الإرواء» رقم (١٢٦٩).

نفسه وإكرامها عن أن يضعها لأقسام عاجلة دنيوية. كما أن الكبر جهل الإنسان بنفسه وإنزالها فوق منزلها. فالعزة تشبه الكبر من حيث الصورة، وتختلف من حيث الحقيقة، كاشتباه التواضع بالضعة، والتواضع محمود والضعة مذمومة، والكبر مذموم، والعزة محمودة.

١٦ ـ ومن ثمرات الإيمان رفعة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لأهل درجات في الدنيا والآخرة:

قال الله تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ (المجادلة: ١١)،

قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾، أي في الثواب في الآخرة وفي الكرامة في الدنيا، فيرفع المؤمن على من ليس بمؤمنٍ، والعالم على من ليس بعالم. وقال ابن مسعود: مدح الله العلماء في هذه الآية، والمعنى أنه يرفع الله الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم، ﴿ دَرَجَاتٍ ﴾، أي

درجات في دينهم إذا فعلوا ما أمروا به. وقال يحيى بن يحيى عن مالك: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ ﴾، الصحابة، ﴿ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾، يرفع بها العالم والطالب للحق. والعموم أوقع في المسألة، وأولى بمعنى الآية، فيرفع المؤمن بإيمانه أولاً، ثم بعلمه ثانيًا[1].

وقال تعالى إشارة إلى رفعة الآخرة: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (البقرة: ٢١٢)، وقال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (الأنفال: ٤).

١٧ ـ ومن ثمرات الإيمان استغفار ملائكة الرحمن:

قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ (غافر: ٧).

(١) باختصار من «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٦٤٦٩، ٦٤٧٠).

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: يخبر تعالى عن الملائكة المقربين من حملة العرش الأربعة ومن حوله من الملائكة الكروبيين بأنهم يسبحون بحمد ربهم، أي يتقربون بين التسبيح الدال على نفي النقائص والتحميد المقتضي لإثبات صفات المدح، ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، أي خاشعون له أذلاء بين يديه، وأنهم ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي من أهل الأرض ممن آمن بالغيب، فقيض الله تعالى ملائكته المقربين أن يدعو للمؤمنين بظهر الغيب، ولما كان هذا من سجايا الملائكة ـ عليهم الصلاة والسلام ـ كانوا يُؤَمِّنون على دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب كما ثبت في صحيح مسلم: «إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك: آمين، ولك بمثله»[(١)].

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٧١).

ـ والحديث رواه مسلم (١٧/ ٤٩) الذكر والدعاء والتوبة.

١٨ ـ ومن ثمرات الإيمان أن المؤمن نافع لنفسه متعد نفعه إلى غيره، أو قاصر النفع على نفسه وفي كل خير:

قال النبي ﷺ : **«مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب، و(مثل المؤمن) الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها»**(١) .

قال العلامة السعدي: وهذان القسمان هما خير الخليقة؛ فإن الناس أربعة أقسام:

الأول ـ خير في نفسه، متعد إلى غيره، وهو خير الأقسام. فهذا المؤمن الذي قرأ القرآن وتعلم علوم الدين، فهو نافع لنفسه متعد نفعه إلى غيره، مبارك أينما كان، كما قال الله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ (مريم: ٣١).

(١) رواه البخاري (٨/ ٦٨٢، ٦٨٣) فضائل القرآن، ومسلم (٦/ ٨٣، ٨٤) صلاة المسافرين.

والثاني ـ طيب في نفسه صاحب خير، وهو المؤمن الذي ليس عنده من العلم ما يعود به على غيره. فهذان القسمان هما خير الخليقة، والخير الذي فيهم عائد إلى ما معهم: من الإيمان القاصر والمتعدي نفعه إلى الغير بحسب أحوال المؤمنين.

والقسم الثالث ـ من هو عادم للخير ولكنه لا يتعدى ضرره إلى غيره.

والرابع ـ من هو صاحب شر على نفسه وعلى غيره، فهذا شر الأقسام: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ (النحل: ٨٨).

فعاد الخير كله إلى الإيمان وتوابعه، وعاد الشر إلى فقد الإيمان والاتصاف به، والله الموفق.

وشبيه بهذا المعنى قوله ﷺ: «المُؤمِنُ القَوِيُّ خَيرٌ وأَحَبُّ إلَى الله مِنَ المُؤمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيرٌ»(١).

---

(١) رواه مسلم (١٦/ ٢١٥) القدر، وأحمد (٢/ ٣٦٦)، وابن ماجه (٤١٦٨) الزهد. وقال النووي: والمراد بالقوة هنا عزيمة النفس =

فقسم ﷺ المؤمنين إلى قسمين: قسم قوي في عمله وقوة إيمانه وفي نفعه لغيره، وقسم ضعيف في هذه الأشياء. ومع ذلك ففي كل من القسمين خير، لأن الإيمان وآثاره كله خير وإن تفاوت المؤمنون في هذا الخير.

ومثل هذا قوله ﷺ: **«المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»**(٢).

= والقريحة في أمور الآخرة فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقدامًا على العدو في الجهاد وأسرع خروجًا إليه وذهابًا في طلبه وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك «شرح النووي» هامش (١٦/ ٢١٥).

(٢) «المجموعة الكاملة» لمؤلفات الشيخ (٣/ ١٣٧، ١٣٨).

ـ والحديث رواه ابن ماجه (٤٠٣٢) الفتن، وأحمد (٥/ ٣٦٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٣٦٥).

ـ وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٩٣٩).

١٩ ـ ومن ثمرات الإيمان ما وعد الله ـ عزَّ وجلَّ ـ به المؤمنين من الجنات والمساكن الطيبة والرضوان:

قال الله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة: ٧٢).

قال القاسمي: قال القاضي: فكأنه وصف الموعود أولاً بأنه من جنس ما هو أبهى الأماكن التي يعرفونها لتميل إليه طباعهم أول ما يقرع أسماعهم، ثم وصفه بأنه محفوف بطيب العيش، معرى من شوائب الكدورات التي لا تخلو عن شيء منها أماكن الدنيا، وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، ثم وصفه بأنه دار إقامة وثبات في جوار العليين، لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير، ثم وعدهم بما هو أكبر من ذلك فقال: ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾، إذ عليه يدور فوز كل خير وسعادة، وبه يناط نيل كل شرف وسيادة، ولعل عدم نظمه في سلك الوعد مع عزته في نفسه لأنه متحقق في ضمن كل موعود، ولأنه مستمر في الدارين أفاده أبو السعود.

وإيثار رضوان الله على ما ذكر إشارة إلى إفادة أن قدراً يسيراً منه خير من ذلك.

وقد روى الإمام أحمد والشيخان عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: ما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك؟ فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً»[(١)]

٢٠ ـ ومن ثمرات الإيمان: كل ما جعله الله ـ عزَّ وجلَّ ـ من ثمرات التقوى:

لأن التقوى هي أعلى درجات الإيمان، وهي أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فتعلم أن الله يراك[(٢)].

---

(١) باختصار من «محاسن التأويل» (٨/ ٢٦١، ٢٦٢)، والحديث رواه البخاري (١١/ ٤٢٣) الرقاق: صفة الجنة والنار، ومسلم (١٨/ ١٦٨) الجنة وصفة نعيمها، والترمذي (١٠/ ٢١) أبواب صفة الجنة.

(٢) وقد فصلنا ثمرات التقوى في رسالة بعنوان «التقوى المنشودة والدرة المفقودة».

◆ فمن ذلك المخرج من كل ضيق والرزق من حيث لا يحتسب؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق: ٢-٣).

◆ ومن ذلك السهولة واليسر في كل أمر؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ (الطلاق: ٤).

◆ ومن ذلك تيسير تعلم العلم النافع؛ قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ (البقرة: ٢٨٢).

◆ ومن ذلك إطلاق نور البصيرة؛ قال تعالى: ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ (الأنفال: ٢٩).

◆ ومن ذلك البركات من السماء والأرض؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ (الأعراف: ٩٦).

◆ ومن ذلك الحفظ من كيد العدو؛ قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا...﴾ (آل عمران: ١٢٠).

◆ ومن ذلك حفظ الذرية الضعاف بعناية الله ـ عز وجلَّ ـ؛ ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴾ (النساء: ٩).

◆ سبب لقبول الأعمال التي بها سعادة العباد في الدنيا والآخرة؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (المائدة: ٢٧).

◆ سبب لتكفير السيئات وعظم الأجر؛ قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ (الطلاق: ٥).

◆ تجمع بين المتحابين من أهلها حين تنقلب كل صداقة إلى عدواة؛ قال تعالى: ﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (الزخرف: ٦٧).

فهرس المراجع

١ ـ أضواء البيان، لمحمد الأمين الشنقيطي

السلفيون يتحدثون

٢ ـ إحياء علوم الدين، للغزالي

ط . الشعب

٣ ـ إرواء الغليل، للألباني

ط . المكتب الإسلامي

٤ ـ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لشعيب الأرناؤط

ط . الرسالة

٥ ـ الإيمـــان، لشيخ الإسلام ابن تيمية

ط . دار الطباعة المحمدية

٦ ـ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لابن العربي

ط . دار الوحي المحمدي

٧ ـ تغليق التعليق، لابن حجر العسقلاني

ط . المكتب الإسلامي

٨ ـ تفسير القرآن الحكيم، لمحمد رشيد رضا

دار المعرفة

٩ ـ تفسير القرآن العظيم، لابن كثير

دار المعرفة بيروت

١٠ ـ التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم

دار الكتب العلمية

١١ ـ التفسير الكبير للرازي
ط . دار الكتب العلمية

١٢ ـ التفكر في الأسماء والصفات، للدكتور ضياء الدين الجماس
ط . دار الهجرة

١٣ ـ جامع الأصول، لابن الأثير ـ بتحقيق عبد القادر الأرناؤط
ط . دار الفكر

١٤ ـ الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي
ط . الشعب

١٥ ـ حلاوة الإيمان، لسليم الهلالي
دار ابن الجوزي

١٦ ـ حلية الأولياء، لأبي نعيم
مطبعة السعادة

١٧ ـ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لشعيب الأرناؤوط
ط . الرسالة

١٨ ـ سلسلة الأحاديث الصحصيحة، للألباني
ط . الكتب الإسلامي

١٩ ـ سنن ابن ماجه
المكتبة العلمية

٢٠ ـ سنن الدارمي
دار الكتب العلمية

٢١ ـ سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي
دار الكتب العلمية

٢٢ ـ شرح السنة، للبغوي ـ بتحقيق شعيب الأرناؤوط
ط. دار بدر

٢٣ ـ شرح النووي على صحيح مسلم
المطبعة المصرية ومكتبتها

٢٤ ـ الصلاة، لابن القيم
دار عمر بن الخطاب

٢٥ ـ عون المعبود شرح سنن أبي داود، للمباركفوري
المكتبة السلفية بالمدينة المنورة

٢٦ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني
السلفية ـ الريان

٢٧ ـ فيض القدير، للمناوي
دار المعرفة

٢٨ ـ الفصل في الملل والنحل، لابن حزم
مكتب السلام العالمية

٢٩ ـ الفوائد، لابن القيم
دار الدعوة

٣٠ ـ الكشاف للزمخشري
ط. الريان

٣١ ـ لسان العرب، لابن منظور
ط. المعارف

٣٢ ـ محاسن التأويل، للقاسمي
ط. دار الفكر

٣٣ ـ مدارج السالكين، لابن القيم

٣٤ ـ مستدرك الحاكم ومعه تلخيص الذهبي
المعرفة

٣٥ ـ مسند الإمام أحمد، بفهرس الألباني
ط . الكتب الإسلامي

٣٦ ـ مصنف ابن أبي شيبة، بتحقيق عامر العمري الأعظمي
الهند

٣٧ ـ معارج القبول، لحافظ بن أحمد حكمي
المكتبة السلفية

٣٨ ـ من أخلاق السلف، للمؤلف
دار العقيدة

٣٩ ـ من محاسن الدين الإسلامي، لعبد العزيز المحمد السلمان
طبعة وقفية

٤٠ ـ موطأ مالك، بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي
دار إحياء الكتب العربية

٤١ ـ المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي
ط . مركز صالح بن صالح

٤٢ ـ الوابل الصيب، لابن القيم ـ بتحقيق بشير محمد عيون
ط . دار البيان

الفهرس

الموضـــوع	صفحة

الموضـــوع | صفحة

الموضـوع صفحة

الموضوع | صفحة

الموضوع صفحة

الموضوع　　　　صفحة

من أحدث مطبوعات دار الإيمان

غاية السقيا في تعبير الرؤيا

فضيلة الشيخ الدكتور

أحمد فريد

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

دار الهمة
لتوزيع الكتاب والشريط والسي دي
فاكس: ٥٤٥١١٦٩ ت: ٥٢٢٢٠٠٢

من أخلاق السلف

فضيلة الشيخ الدكتور
أحمد فريد

من أحدث مطبوعات دار الإيمان

المرأة

بين تكريم الإسلام وإهانة الجاهلية

تأليف

محمد أحمد إسماعيل المقدم

عفا الله عنه

دار العقيدة

لتوزيع الكتاب والشريط والتسجيلات

فاكس: ٥٤٥١١٦٩ ت: ٥٢٢٢٠٠٢

دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع

إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

من أحدث مطبوعات دار الإيمان

صناعة المشاهير

الشهرة وعالم الأضواء في ميزان شريعة الرحمن

فضيلة الشيخ الدكتور

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
اسكندرية ت ٥٤٥٧٢٦٩

دار القمة
لتوزيع الكتاب والشريط والسي دي
فاكس: ٥٤٥١١٦٩ ت: ٥٢٢٢٠٠٢

من أحدث مطبوعات دار الإيمان

العقيدة الإسلامية

من الكتاب والسنة الصحيحة

إعداد

محمد بن جميل زينو

المدرس بدار الحديث الخيرية بمكة المكرمة

دار الهمة
لتوزيع الكتاب والشريط والتسجيلات
فاكس: ٥٤٥١٧٦٩ ت: ٢٠٢٢٢٢د

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
اسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩